بازدید شد
۱۳۸۱

۹۵۰۲- ن

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی

جمهوری اسلامی ایران

کتاب احیاء العلوم الدین (ربع العبادات) جلد اول
مؤلف غزالی (ابوحامد محمد بن احمد الطوسی)
موضوع
شمارهٔ قفسه ۱۴۹۰

شماره ثبت کتاب
۸۵۹۳۰
۱۲۳۹۶

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
تاسیس ۱۳۰۲

خطی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۴۹۰

بازدید شد
۱۳۸۱

۹۵۰۲

کتابخانهٔ مجلس شورای اس[لامی]

جمهوری اسلامی ایران

کتاب احیاء العلوم الدین (ربع العبادات)
مؤلف غزالی (ابوحامد محمد بن احمد الطوسی)
موضوع
شمارهٔ قفسه ۱۴۹۰

شماره ثبت کتاب
۸۵۹۴۰
۱۲۴۹۴

کتابخانه مجلس شورای اسلامی
خطی
۱۴۹۰

بازدید شد
۱۳۸۱

۹۵۰۲ - ن

کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران
شمارهٔ ثبت کتاب ۸۵۹۳۰
۱۲۳۹۴
کتاب احیاء العلوم الدین (ربع العبادات) جلد ۱
مؤلف غزالی (ابوحامد محمد بن احمد الطوسی)
موضوع
شمارهٔ قفسه ۱۴۹۰

خطی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۴۹۰

احیاء علوم ...

١٢٢

٣٩٨

ما تقولكم رضي الله عنكم في رجل متولي على
علم ان التصرف في اللفظ التحرير في الصناعة

ما تقولكم رضي الله عنكم في رجل متولي على مد...
فعمر للوقف مسوقا حد بذا وسقفه ودفعه فجاوا الي...

ما تقولكم رضي الله عنكم في رجل متولي على مدرسة فعمر
ثقف سوقا حد بذا وسقفه ودفعه فجاوا اليه سكان
كل من يعطي للوقف تبرعا سكناه وكان طالبو كثير
استخاموا وخلوا على المتولي واعطوا للوقف تبرعا وجد
وقف ياسن الافندي فعزل المتولي ...
بالتبرع وما ارو...

بازدید شد ٢٧

[redacted]

بسم

والنبي بعضكم لعلكم تذكرون اذكروا الله

العطع بذكركم واشكروا لي ولا تكفرون واسلوه

[illegible] ان الصرف في اللغة العربية

الساعة الحمد

بسم الله الرحيم

٢
نمره ٧١٥

فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر في كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور الأول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف

ما كثر رواجه الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام
لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذ الكل وإن تواردوا على منهج
واحد فلا مستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبه
لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه
ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه
عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب
مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم وإنما حملني على تأسيس الكتاب
على أربعة أرباع أمران أحدهما وهو الباعث الأصلي أن
هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لأن العلم الذي
يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وإلى علم المكاشفة
وأعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم
المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من
هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة
في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح
نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء
مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه وأما علم المكاشفة
فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علماً
منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء
فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم إن
علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح
وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح
إما عبادة وإما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب
عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم
هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق
بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق

بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع
أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام الباعث الثاني
أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح
عند من لا يخاف الله تعالى للتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه
ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي
المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه
تلطفاً في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة
قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً
في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس
جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم
الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب
الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح
المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج
به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل
الله تعالى التوفيق للرشاد والسداد إنه الكريم الجواد

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب الباب الأول في فضل العلم والتعلم والتعليم
الباب الثاني في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم
وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم
الدنيا الباب الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين
وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره الباب الرابع
في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل
الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم الباب السادس
في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا
وعلماء الآخرة الباب السابع في العقل وفضيلته وأقسامه

الباب الأول وما جاء فيه من الأخبار
في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل فضيلة
العلم أما شواهدها من القرآن فقوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا
هو والملائكة وأولوا العلم فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بالملائكة وثلث
بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن
عباس رضي الله عنه للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة
ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال الله تعالى قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال الله تعالى إنما يخشى الله من
عباده العلماء وقال الله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب وقال تعالى وقال الذي عنده علم من الكتاب
أنا آتيك به تنبيها على أنه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال
الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين أن عظم قدر الآخرة
يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها
إلا العالمون وقال تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم
وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى
يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا
يعني اليقين ولباس التقوى أي الحياء وقال تعالى ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى
بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى
خلق الإنسان علمه البيان وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان
الأخبار قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الأنبياء
ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة

ثم يبعث الله العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم
إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم
الآثار قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم
يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال
تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق وقال أيضا العالم أفضل
من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة
لا يسدها إلا خلف منه وقال أيضا نظما شعر
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس
والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه خير
سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فأعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك رحمه الله عن
الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة
قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية
التي بها يتميز الناس عن سائر البهائم هو العلم والإنسان إنسان
بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فإن الجمل أقوى
منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فإن السبع أشجع
منه ولا بأكله فإن الجمل أوسع بطنا منه ولا ليجامع فإن أخس
العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال بعض
الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات
من أدرك العلم وقال فتح الموصلي رحمه الله أليس المريض إذا
منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب
إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فإن غذاء
القلب العلم والحكمة وبه حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد

العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله
بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل إحساس ألم الجراح
في الحال وإن كان واقعا فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس
بهلاكه وتحسر تحسرا ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق عن سكره بما
أصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من يوم كشف
الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رضي الله عنه
يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم
بالعلم قبل أن يرفع ورفعه أن يهلك رواته فوالذي نفسي بيده
ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما
يرون من كرامتهم وإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم وقال
ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها
وكذا عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن
رضي الله عنه في قوله آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة و
في الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتنى قال
الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد
بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما
اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار
وقال الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم أن كل من نسب إليه
ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه
أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم
رداه الله بردائه فإن أذنب ذنبا استعتبه فإن أذنب ذنبا استعتبه
فإن أذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به
ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا
أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره وقال سالم بن أبي الجعد
رحمه الله اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي حرفة

البعث باز
الأعباء جمع ... مهذب

الجراحة بكسر الجيم
خستگی الجراح
والجراحات
جمع ... مهذب

التذاكر بهم ياد
كردن ... مراح

التوطيد
بجای بداشتن
واستوار کردن
...

احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة
زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلي أبي بالعراق عليك
بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا
وحكي ذلك في وصايا لقمان رضي الله عنه لابنه وقال أيضا يا بني جالس
العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي
الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت
في الماء والطير في السماء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري
رضي الله عنه العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكور الرجال **في فضيلة التعلم**

أما الآيات فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

وأما الأخبار فقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب
فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم إن
الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال صلى الله
عليه وسلم لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة
وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا
وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى
الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم العلم
خزائن مفاتيحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل
والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي
للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت عن علمه وفي
حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف
ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يا رسول
الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن إلا بالعلم وقال
صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام
فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة **وأما الآثار** فقال ابن عباس

معنى وضع الجناح
الكف عن الطيران
للنزول عنده وإرادة
التواضع
تعظيما لحقه
واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة
الآية ... شرح ...

رضي الله عنه ذللت طالبا فعززت مطلوبا ولذلك قال ابن ابي مليكة
رحمه الله ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها فاذا
تكلم فاعرب الناس لسانا فاذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن
المبارك رضي الله عنه عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة
وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد الرجلين رجل يطلب
العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو الدردا رضي الله عنه لان
اتعلم مسالة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم
شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما
او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطا رحمه الله مجلس
ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضي الله عنه موت
الف عابد قايم الليل صايم النهار اهون من موت عاقل بصير بحلال
الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من
النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك اقرا عليه العلم
فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت
اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدردا رضي الله عنه
من راى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في رايه وعقله

فضيلة التعليم **اما الايات** فقوله تعالى
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
وهو ايجاب للتعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال
صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ
من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال الله تعالى ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
وقال ويعلمهم الكتاب والحكمة **اما الاخبار** فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم

الغدوة

٦

لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا
وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين
نبيا صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى
عظيما في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة
يقول الله للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلما بفضل
علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي
اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون
للعلم المتعدي اي التعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال ان الله تعالى
لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يوتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب
العلما فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا روساء
جهال ان سيلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال من علم
علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية
كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها
تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ٥
ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله وملائكته
واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر
ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة
افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها
المومن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما
هولاء فيسالون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم
واما هولاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم
وجلس معهم وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى
كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء

فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله وقال صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله

الآثار

قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العامل وقال ابن عباس رضي الله عنه معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري رضي الله عنه قدم عسقلان فمكث لا يسأله انسان فقال اكروا لي اخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن رضي الله عنه لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة رضي الله عنه ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا تضيعه وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه العلماء ارحم بامة محمد من ابائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم

يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء والقريب عند القرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه يوصل الارحام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء

في الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن

الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل الشدة والعدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله يسر قضاء الحاجات بهما لكانت هي والحصى بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوب من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الآخرة فاما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء

٨

الترك واجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها الثانية ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة كالطحانة والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك يستدعي هذه الصناعة من الكمال

فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم
لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في
استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا
والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء
وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم الثانية الخلفاء
والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على
ظاهرهم لا على باطنهم الثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم
ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة
الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام
والمنع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف
هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس
الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق
المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من
سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلثة
امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل
العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة
بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع
كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف
كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل
الآخر الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق
الآخرة انما يدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف
صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه
يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا تستريب فيه فان
نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى
والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على
الارض

جميعا م

جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم
مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب
من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله ومن وجه
خلافة لله وهو من اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب
العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس
خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية
رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم
الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه
والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين

قال صلى الله عليه وسلم
طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم
ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم
وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل
ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو
بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد
ويعلم ذات الله تعالى وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه
اذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من
المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون
الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب
والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة
المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه
من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز

يقال هذه الدار صدد هذه اي قربها ومقابلتها والصدد القرب ٢ مختار

اي علمنا م

لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك
يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه
وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه هو العلم بما يتضمنه الحديث
الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على
خمس الحديث لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل
فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل و
لا يستريب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة
الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا
العلم الا علم المعاملة والعلم الذي كلف العبد العاقل البالغ
ثلث اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام
او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي
الشهادة وفهم معناها وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله
وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث
وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير
اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد
والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير
دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان
العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما و
ليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب
ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض
تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور
الانفكاك عنها وتلك العوارض اما في الفعل واما في الترك
واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار
الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة
والصلوة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس

لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل
بالتعلم فلا يبعد ان يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على
الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب
قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب
تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه
النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد
له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا يلزمه
في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم
يلزمه الا تعلم زكوة الابل وكذلك في سائر الاصناف فاذا دخل في اشهر الحج فلا يلزمه
المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي
لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد
والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند
ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه
وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي
تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق
بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الافعال التي هي فرض عين واما
التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب
على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر و
لا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب
ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس
له يجب تنبيهه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا في
الغصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه
بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى
فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه
وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال
القلوب

يجب عليه علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك في المعاني التي تدل
عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك
فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله تعالى
قديم وأنه مرئي وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك
مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعا ولكن
هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع و
بعضها بالسماع من أهل البلد فإن كان في بلد شاع فيه الكلام
وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين
الحق فإنه لو ألقي إليه الباطل لوجب إزالته عن قلبه وربما عسر
ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة الربوا
وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم الذي
هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب
ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية
من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن في حق من يتصدى
له وإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء
والحسد فليلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه
محتاجا إليه وكيف لا يجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات
أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات
وإزالتها فرض عين ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها
ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو
مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب
فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فرض الأعيان وقد تركه
الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه
إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى أخرى الإيمان بالجنة والنار

والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة
فإنه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو
مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه
فله النار وإذا تنبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق
هذا وتحققت أن كل عبد فهو في مجاري أحواله في يومه
وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد
لزوم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر و
يلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب
غالبا فإذا تبين أنه صلى الله عليه وسلم أراد بالعلم المعرف
بالألف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي
هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج
في وقت وجوبه

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم
أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالإضافة
إلى الفرض الذي نحن بصدده ينقسم إلى شرعية وغير شرعية
وأعني بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب
ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية ينقسم
إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح فالمحمود
ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى
ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة أما
فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا
كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب
فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث و
غيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج
أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين

الغرض نشانه ومراد هم هدف الحساب

على الصحة

ولا يتعجب من قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات
فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة
والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام
تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فإن
الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب
لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله وأما ما يعد
فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب
وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر
المحتاج إليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات و
علم الشعبذة والتلبيسات وأما المباح منه فالعلم بالأشعار
التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه وأما
العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها
ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم
إلى المحمودة والمذمومة أما المحمودة فلها أصول وفروع و
مقدمات ومتممات فهي أربعة أضرب الضرب الأول الأصول
وهي أربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الأمة وآثار
الصحابة والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السنة فهو أصل
في الدرجة الثانية وكذلك الأثر فإنه يدل أيضاً على السنة
لأن الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال
ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن
فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك
بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا
الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب
ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من
اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي

الحجامة حرفة الحجام مغرب

التعمق [illegible]

الشعوذة

قال أبو عمرو السخف بالفتح رقة العيش وبضم السين رقة العقل [illegible] شرح الغراب

وهو غضبان أنه لا يقضي إذا كان جائعاً أو حاقناً أو متألماً بمرض
وهذا على ضربين أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه
والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق
بالآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المذمومة والمحمودة وما
هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير
من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم
بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو
الذي يحويه الشطر الأول الضرب الثالث المقدمات وهي
التي تجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنها آلة لعلم
كتاب الله وسنة رسوله وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية
في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة
بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة
ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً إذ كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمياً ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني
عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً الضرب الرابع
المتممات وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراآت
ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضاً على
النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة
الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية
استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه
ويتناول السنة أيضاً وأما المتممات في الآثار والأخبار
فالعلم بالرجال وأساميهم وأنسابهم وأسامي الصحابة وصفاتهم والعلم
بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي
والعلم بأعمارهم ليتميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به
فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات

الاستقلال [illegible]

فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء
بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب
واخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب
الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض
ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذه غايتهم وهذه
منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود
فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء
ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون
يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط
بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان
ومرشده الى طرق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم
امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين ولكن لا بنفسه
بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا
بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما
لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط
الا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الخصومات بالفقه و
كما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الاولى
بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طرق السياسة
فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن
الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي
لا يتم الحج الا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء
رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي
مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد
كانوا هم المفتين والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد

طين ح

آخر ح
آخر

المفتون ح

تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة يتحرزون عنه حتى كان يحيل
كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يتحرزون اذا سئلوا عن علم القرآن
وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان
من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب
الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الجراحات
والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه
ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات
من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه
من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلثة الاسلام والصلوة والحلال
والحرام واذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز
حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلثة فهو في
غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وما يفسد
وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان واما القلب فخارج عن ولاية
الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة
عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة
الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة
الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له
عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة والحيرة ولكنه
مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة
الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة
ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم
واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال
بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض
الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام او الطب كان خارجا عن فنه واما

عن الفتوى ح
وما كانوا يتحرزون
متقلد

والزكوة

لا اخلاصها ح

الصلوة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر
الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا
بالفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة
لا تنفع في الآخرة كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع
ولكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة
الامر وانقطع به عنه القتل او التعزير فاما الخشوع واحضار
القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض
له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا من فنه واما الزكوة فالفقيه
ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ
السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي ان ابا يوسف كان
يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها لاسقاط الزكوة
فحكي ذلك لابي حنيفة رضي الله عنه فقال ذلك من فقهه وصدق
فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل
جناية ومثل هذا العلم هو الضار واما الحلال والحرام فالورع
من الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى
الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة وهو الذي يخرج به
الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز
عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي
من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله
عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حواز القلوب
الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف
منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل
من المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وذلك
مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار
الى الغيبة والتورع من اكل الشهوات خيفة من هيجان

النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة
ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من
صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند
الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه
الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى
وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام
بذلك لا ينفي الاثم في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة
استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم
في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة
فقط فاذن جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح
طريق الآخرة فان تكلم في شيء من صفات القلب واحكام الآخرة
فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه
شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة
في النحو والشعر وكان سفيان الثوري رضي الله عنه وهو امام
في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف
وقد اتفقوا على ان الشرف في العلم العمل به فكيف يظن انه علم
اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه
الامور ليتقرب بتعاطيها الى الله فهو مجنون وانما العمل بالقلب
والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال فان
قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا
وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية
تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما
فرق وان الفقه اشرف منه من ثلثة اوجه احدها انه علم
شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فهو ليس
من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي

طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطبيب فلا
يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم
الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر في اعمال
الجوارح ومصدر الاعمال ومنشأها صفات القلوب فالمحمود
من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة و
المذموم يصدر عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب
واما الصحة والمرض فمنشأهما صفاء في المزاج والاخلاط
وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه
الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى
الفقه ظهر ايضا شرف علم الآخرة فان قلت فصل لي
علم الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله
فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة
هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة
وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر
من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة او
كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق
به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل عقوبة من ينكره انه لا
يذوق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة
فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته
من صفاتها المذمومة ينكشف من ذلك النور امور كان يسمع
من قبل اسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح
اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله وصفاته
الباقيات التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه
ترتيبه الآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي

ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة
الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول
الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب
وكيفية التصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق
بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار
وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى
القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات
اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في
جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه
الامور بعد التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك
امثلة وان الذي اعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة
الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها
يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى
معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا
عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة الله تعالى ما
انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع
بصير متكلم فنريد بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى
تتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان
الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة
القلب قد تراكم صدأها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني
علم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه

تصادم ح

التصادم بهم والكونه شدن ۲

الجلي ضد الخافي

الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما
تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع
احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ
فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في
موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث
بها من انعم الله عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على
سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو الذي
اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا
يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل
الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان الله
تعالى لم يحقره اذ آتاه العلم واما القسم الثاني وهو علم المعاملة
فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فكالصبر والشكر والخوف والرجاء
والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله
في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة
والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها و
اسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها
حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف
الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو
وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء و
الغضب والانفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة
والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء
والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض
فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة
والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن
من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها

ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة
السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة
والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة
فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت
الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات
والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها
وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة و
المعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما ان المعرض
عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى
فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح
الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من
هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز
عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه
في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد
عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج
الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب
فيها فلا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو
مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين و
فرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم انه
لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين
بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من
اهل الذمة ولا تجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه
ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لا سيما الخلافيات

الطيش گذشتن تير از نشانه

الفتوى ... او تقوية للبيان مشكل ٢ معرب

يقال سبق اذا اخذ ... السبق

والمجادلات والبلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى
والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في
الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم
به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر التوصل به إلى
تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء
والحكومة في الخصومة والتقدم به على الأقران والتسلط
به على الأعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس
علماء السوء فالله المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا | فالله المستعان ح
من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان
وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن
وأرباب القلوب كان الشافعي رضه يجلس بين يدي شيبان
الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا | كما يجلس ح
فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول إن هذا وفق لما
أغفلناه وكان أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين يختلفان
إلى معروف الكرخي رحمه الله ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما
وكانا يسألانه كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له
كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا في السنة
فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل
علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السماء
والملكوت وقال الجنيد رضه قال لي السري رضه يوما إذا قمت | شيخي رضه
من عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه
وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين
ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا
جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم
ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فإن قلت

علماء الآخرة وإنما ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين
بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه
ما صرف الصحابة رضي الله عنهم عن التصنيف والتدريس في الفقه
مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي
متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء
الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر
الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في عملهم وسيرتهم
فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعني الذين كثر
أتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي رضي الله عنه ومالك وأبو حنيفة
وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري رضي الله عنهم وكل واحد منهم كان
عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق
ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء
العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع
الفقه لأن الخصال الأربعة لا تصلح إلا للآخرة وهذه الخصلة
الواحدة تصلح للدنيا وللآخرة إن أريد بها الآخرة فلصلاحها للدنيا
تشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات فلا يقاس
الملائكة بالحدادين فلنورد من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربعة
فإن معرفتهم بالفقه ظاهر أما الشافعي رضي الله عنه فيدل
على كونه عابدا ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلث للعلم
وثلث للصلوة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن | ثلثا للعلم وثلثا للصلوة وثلثا للنوم ح
في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان البويطي أحد أصحابه
كان يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي
غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية
فإذا أكثر فمائة آية فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين
ولا بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع

١٨

جزاً على خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر من ان تحكى وراس
الزهد السخاء لان من احب شيئا امسكه ولم يفارقه فلا يفرق المال
الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة
زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالاخرة ما روي
انه روى له سفيان بن عيينة حديثا من الرقايق فغشي على الشافعي
فقيل لسفيان قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه
وما روى عبد الله بن محمد البكري قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا
نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن
ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحارث بن لبيد الى الصفا وكان
الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت
فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي
وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر
مغشيا عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض
الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقبة المشتاقين
الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك
قال ثم مشى فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت
على الشط اتهيا للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك
احسن الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه
جماعة فاسرعت في وضوءي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي
فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي
اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن
ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا ازيدك
قلت نعم قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من
امر بالمعروف وايتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا
ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق الله

له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمس اية
على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي ما شبعت منذ
ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة
ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات
الشبع ثم في جده في العبادة اذ ترك الشبع لاجله وراس التعبد تقليل
الطعام وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا
فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله
وسئل الشافعي عن مسألة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال
حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه
مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها على الضبط
والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب
الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق
القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت
الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون
السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه
لينظر الى اخبث شيء في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم
ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قائلها وقال
الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة
الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم واما زهده
فقد قال الشافعي رضي الله عنه من ادعى انه جمع بين حب الدنيا
وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي
الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم
فضرب خباءه في موضع خارج من مكة فكان الناس ياتونه فما برح
من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى
الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده فدفعه اليه انسان فاعطاه

ثوبه

ح
اخوالطبع

ح
انوضاً

مركان

مرة ح

في جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسأل من هذا فقالوا هو
الشافعي فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على
زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله تعالى
فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم
كتاب السلم والاجارة وساير كتب الفقه بل من علوم الاخرة المستخرجة
من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه
عالما باسرار القلب وعلوم الاخرة فتعرفه من الحكم
الماثورة عنه كما روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء
فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء
اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي اذا انت خفت
على عملك العجب فاذكر من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي رضى
عقاب ترهب وفي اي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت
في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة
الرياء وعلاج العجب وهما من آفات القلب وقال الشافعي من لم يصن
نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال
ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة
الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان
يسال الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل عليه لورعه
فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي
التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن
صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابراهيم صلوات
الله عليه ثم مكنه وامتحن موسى صلوات الله عليه ثم مكنه وامتحن
ايوب صلى الله عليه ثم مكنه وامتحن سليمان ثم آتاه ملكا والتمكين
افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض وايوب
بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم
معهم الاية

فهذه الكلمات من الشافعي تدل على تبحره في اسرار القرآن
واطلاعه على مقامات السائرين الى الله من الانبياء والاولياء
وكل ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل
عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لساير العلوم فنظر
فيها فانه قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية
الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود واحد وانما يجعل معه منها
غيره ليسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وامثاله مما لا يحصى
يدل على عظم رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الاخرة واما
ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه
ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما
نسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به
وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه متجرد النية فيه لوجه
الله تعالى وقال الشافعي رحمه الله ما ناظرت احدا قط فاحببت
ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد
ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما
كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او لسانه
وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته
واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة
الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على
ارادة الله بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من
جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف
خالفوه فيها ايضا ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراؤون
مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين
سنة الا وانا ادعو للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة
المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء في هذه الاعصار

وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء
بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له
كل هذا الدعا فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية
للنفس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده
محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت
صلوة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه
من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله
فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب
الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب الشافعي
واما مالك رضي الله عنه فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس
فانه سئل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن
انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه
وكان رضي الله عنه في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان
يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب
وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال
احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور
يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير
يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم
فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي اني شهدت ايضا
مالكا وقد سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري
ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه
لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلما فمالك النجم وما احد امن
علي من مالك وروي ان ابا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث المنصور م
في طلاق المكره ثم دس اليه من يساله فروى على ملا من الناس ليس
على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث

وقال مالك ما كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله و
لم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه
ما روي ان المهدي امير المؤمنين ساله وقال هل لك دار فقال
لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء
داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلثة آلاف دينار
فقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال
لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما
حمل الناس عثمان على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطا
فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله افترقوا بعده في الامصار
فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله
عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها
كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها
وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته
لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا
كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من اطراف
الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه
على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ
القلب عنه فلقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على
احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال رايت على باب مالك كراعا
من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك
ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك
منها دابة تركبها فقال اني استحي من الله عز وجل ان اطا تربة فيها
نبي الله عليه الصلوة والسلام بحافر دابة فانظر الى سخائه اذ
وهب جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته

بالعلم وجه الله واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون
الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا
منك الموطأ قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان
انتم اعززتموه عز وان ذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا ياتي فقال صدقت
اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة
رضي الله عنه فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله
خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف
بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة رضي الله عنه له مروءة
وكثرة صلوة وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي
انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لاخر
هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل
وقال انا استحيي من الله ان اوصف بما ليس فيّ من عبادته واما
زهده فقد روي عن الربيع ابن عاصم قال ارسلني يزيد ابن عمر بن
هبيرة فقدمت بابي حنيفة رضي الله عنه عليه فاراده على بيت المال
فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل
العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة
رضي الله عنه انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى ان
مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله
وروي انه ذكر ابو حنيفة رضي الله عنه عند ابن المبارك فقال اتذكرون
رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن
شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة رضي الله عنه قد امر لك
ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة
رضي الله عنه فلما كان اليوم الذي توقع ان يؤتى بالمال صلى الصبح
ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل
عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي

هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم
اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ
هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي
اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد
كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح لهذا فقيل
لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء
واما علمه بامور الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه
من الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان
بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة رحمه الله
طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من
اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين
فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله فهذه
احوال الائمة الثلاثة واما احمد بن حنبل وسفيان
رضي الله عنهما فاتباعهم اقل من هولاء وسفيان
اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد
اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما
فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هولاء الائمة
وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا
والتجرد لله هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة هل ح
والظهار واللعان او يثمرها علم آخر اعلى واشرف منه فانظر
الى الذين ادعوا الاقتداء بهولاء اصدقوا في دعواهم ام لا والسلام

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه
الذي به يكون بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم
وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة بيان علة ذم العلم
المذموم لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله
سبحانه وتعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم
ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثة الاول
ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات
وهو حق اذ شهد القرآن به وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين
وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل بذلك علم ح
واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع يستفاد من العلم بخواص
الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل
على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في المطالع وتقرن
به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بها الى
الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء العادة احوال غريبة
في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة
ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك
هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى
منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب
الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم
لادائه الى الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم
فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن
بان سير الكواكب محسوب اذ قال الله تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله
يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب

بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى
وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
وقال صلى الله عليه وسلم اخاف على امتي بعدي ثلثا حيف الائمة والايمان
بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا به
في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها انه
مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب
سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة
لانها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب
ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر
الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم
الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب
طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهو
ينظر الى سواد الخط يتجدد فيعتقد انه فعل القلم ولا يترقى في نظرها
الى مشاهدة الاصابع ثم منه الى اليد ثم منه الى الارادة المحركة لليد
ثم منه الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة
فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع
عن الترقي الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهي عن النجوم
ثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد
الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا
من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس
صلوات الله عليه فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم فما يتفق
من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب
ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر

الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطأ فيكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم ايضا **ثالثها** انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغنى وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته ما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستفيد الخائض به فائدة فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بالوقوف على طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم فاستضر به ولو لم يخض فيه لكان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته وانها لم تلد فجس الطبيب نبضها

فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب فقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة **فهذا** ينبهك على استشعار بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللجج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليها فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته **واعلم** انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فهكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحيوة الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكتف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب في منابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة ودقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائدها التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء

القلوب في نقائها وطهارتها وزكائها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعريضها لنفحات رحمته وفضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حيوة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليه لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصار القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو

الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعيد بن ابراهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار به الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى ايضا موقوفا على ابي الدرداء

مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون بها اشد مقتا وسأل فرقد السبخي الحسن رحمه الله عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف في اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع

اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وباياته وبافعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنهما مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته وصار الان يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بها من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم

اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الان عبارة

عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القران من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقران هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسياتي شواهد هذه في كتاب التوكل وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية

فالقشر الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره

القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة

والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ الهه هواه معبوده قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين ابايه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به

القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه

اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله تعالى ملايكة سياحين في الهواء سوى ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحيي فقال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وافات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بالاء الله

ونعمائه ويقصر العبد في شكره ويعرّف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرّمها وقلّة عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن إلا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفّر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي يتطرق إليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليه فإن من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضرّ وإن كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فعن هذا نهي عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل ما أحوج الناس إلى قاصّ صادق فإن كانت القصة من قصص الأنبياء فيما يتعلق بأمور دينهم وكان صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكاية أحوال تومي إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فإن العامي يعتصم به في مساهلاته وهفواته ويمهّد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله فقد عصى من هو أكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن وصحّ في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع

الحكايات المرغّبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيه دعوة الخلق إلى الحق وهذا من نزغات الشيطان فإن في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ذكره الله سبحانه وتعالى ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلّف السجع وعدّ ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغّضك إليّ لا قضيت حاجتك أبدا وقد كان جاءه في حاجة وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات إياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلّف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطلّ فقال صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الأعراب **وأما الأشعار** فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وقال وما علّمناه الشعر وما ينبغي له وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكنّ فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضرهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر فإن كثروا لم يتكلم وما تمّ أهل مجلسه عشرين قط وحضر جماعة على باب داره ابن سالم فقيل له تكلّم فقد حضر

أصحابك فقال لا ما هؤلاء أصحابي إنما هم أصحاب المجلس إن أصحابي هم الخواص **وأما الشطح** فنعني به صنفين من الكلام أحدثهما بعض المتصوفة **أحدهما** الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق وبما يحكون عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فإن هذا كلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا إن هذا إنكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة وأما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما يحكى عنه وإن سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية **الصنف الثاني** من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلّمه طريق التعبير

عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوّش القلوب ويدهش العقول ويحيّر الأذهان أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدّث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذّب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذي حق حقه **وأما الطامات** فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات وهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ويسقط به منفعة كلام الله وكلام رسوله فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذه أيضا من البدع الشائعة العظيم ضررها وإنما قصد أصحابها الإغراب فإن النفوس مائلة إلى الغريب مستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات

قول بعضهم في تأويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه
وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله الق عصاك
اي كل ما يتوكأ عليه ويعتمد مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله
صلى الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار
بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن
ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه
التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون
شخص محسوس تواتر النقل بوجوده ودعوة موسى له كابي لهب وابي
جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم
يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظه وكذلك حمل التسحر على
الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا
وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها
وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل
ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك
عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على
دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر
القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان
يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه
ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية
ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر
فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة
وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها
تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم
وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في
الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه

التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به
دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع
كمن يضع في كل مسألة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم
من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل
هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة
طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف
الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك
تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على
الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب
الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن
تبديل اللفظ **اللفظ الخامس هو الحكمة** فان اسم الحكيم صار يطلق على
الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية
في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة
يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة
عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار
بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين
اذ الشيطان بواسطتهم يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا
لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا
حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم
ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف
او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف
من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما
بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس
من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون
بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس
كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث
يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء
فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان القدر المحمود من العلوم
المحمودة** اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله
وكثيره وقسم محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل
وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء
فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة
والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد
الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة
فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم **فالقسم**
المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر
يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه
اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة
واضاعة النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه
يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى
الضرر الحاصل منه **واما القسم المحمود** الى اقصى غايات الاستقصاء
هو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب
الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى
سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد
الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على
سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء

والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم
وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر
في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الآخرة
كما سيأتي علاماتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الآخر المجاهدة
والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه
فيه بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر
الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح
الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص**
فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها
اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصار
لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا
الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك
قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم
الذي هو فرض عين عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال
الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي
اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك
بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب
واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة
يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل
والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال والحشوية العلماء
يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء
ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع
مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع
الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال
الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر

من يستصعب شرب الأدوية المرة المقررة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد ويتضاعف به الأمراض فإن كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزروع والرياحين وإن لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همت به وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الإثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصاء فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن

نشير إليها في التفسير والحديث والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري رحمه الله وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف إليهما ما خرج منهما مما ورد في المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأساميهم وأوصافهم وأما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردته في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عنده جوابا هو عاجز عنه وإنما أنت تلبس عليه بقوة المجادلة وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم

إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهذا أيضا من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدواعي بالمكافأة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس وأما الخلافيات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك أن تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فإنه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف فإن علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادات عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الإذعان لذوق الفقه وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب

وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته إلى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الإنس فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الإغواء والإضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيه وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم أن يفتنوك وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الأخبار إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور أبغض الخلق إلى الله الألد الخصم وفي الخبر ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا أئمة علماء بالله فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على

الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف
فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر الخلفاء الى الالحاح
في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز
العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب
العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى
وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات
منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب
ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين
وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا
من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك
الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات
والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من سمع مقالات
الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم
رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا
فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن
الدين والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان
غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين
اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور
من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان
قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات
الناشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت
نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة
رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم
وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما

على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رضي الله عنهم
وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب
وتمهيد اصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات
ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى
الآن وليس ندري ما الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار
فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير
ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة
او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل
بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب
الى رب العالمين

بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف

اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس اليها بان غرضنا
من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون
على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة
في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والاخوة وحد شرب الخمر
ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المرأة
جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسائل الفرائض وغيرها وكما نقل
عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء رضي الله عنهم
ويطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق
من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان **الاول** ان لا يشتغل به وهو من
فروض الكفايات من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض
عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب
ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول
غرضي به ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد ثوبا فان
ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر
التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون

كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امرأة على عمر رضي الله عنه ونبهته
على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ
رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين
ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك
ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا
الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله
فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعد على
الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه الجواب فقال ابن مسعود انا اقول
ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون
انصاف طالب الحق ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعد
وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد
فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجهه اذا اتضح الحق على لسان
خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف
يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم
على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل
ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه
جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا
يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض
للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات
والمجادلات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما
الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي
فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض
ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها
ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض
على انه لا يلزمه ويتزجى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال

وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره اذ لا يلزمني
كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه لتعجيز خصمه فهو
فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة
هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع
وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان
ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف ان اظهار
ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي
في شرع الجدل الذي ابتدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال
والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه
عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات
السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال
من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم
من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه
الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب
انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على
لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا
شروط دقيقة كثيرة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله تعالى
ومن يناظر لعلة **واعلم** بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على
قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره
في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة
للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه
من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم وتحقق
ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل
والتشوف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة والمباراة واستمالة

وامورهي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله تعالى عصى به ولا يكفي في كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب. الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعاً ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقع قام بها جماعة من الفقهاء وهو يزعم انه يريد ان يتقرب الى الله بفرض الكفاية وقد روى انس رضي الله عنه انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في ارذالكم. الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برايه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيه ناقلاً عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه

فاي

فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلاً الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتاً. الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع غالباً فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تتسع مجال الجدال فيها كيفما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يترك المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار او لانها ليست من الطبول ولا يطول فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول. الخامس ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد قد يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المتخصص بالكلام. السادس ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره اذا عرفه الخطاء واظهر له الحق كما لو اخذ طريقاً في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر كان يشكره ~~ولا يذمه~~ ويذمه ويكرمه ويفرح به

وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق سياتي ادلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما يهيجه المناظرة فمنها الحسد وقال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه واخرى كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاماً واقوى نظراً فلا بد ان يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة. ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى عليه

وسائر انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفاً للاسم واضلالاً للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما. ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظراً يقدر على ان لا يضمر حقداً على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه ادنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا تقلعه يد الدهر الى آخر العمر. ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابراً على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة. ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم شرعاً وعقلاً. ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعده ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا

مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطايف التشبيب ولا يمتنع من الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكى عن اقوام من اكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمساءة الناس والغم بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المومنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا راى مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان ينتسب الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المومنين والمتقين ومنها النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمهم يضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله منه فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن رضي الله عنه وقد صح ذلك بمشاهدة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة

فيه حتى ان ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم يصير المماراة عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المودي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منه مع اشكاله المقاربين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحد من هذه الخصال العشر عشرة اخرى من الرذايل لم نطول بذكرها وتفصيل احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام

وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلوته ما الذي يقرا ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الاخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الاخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حيوة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة لم يطمع في سلامة من الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فايدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمود ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف

ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه ان شاء الله عز وجل

الباب الخامس في اداب المعلم والمتعلم

اما المتعلم فادابه ووظايفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الحدث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبايث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب ومغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبايث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبايث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملايكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب

وربما قالوا انبح الكلب اي منه الصاحب

واخواتها كلاب نابحة فانى تدخل الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء الابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره ولا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة المصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره عن غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهو السبعية **واعلم** ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره باموالهم ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار **فان قلت** كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلقفونه بالسنتهم مرة

٣٩

ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله اي ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه **فان قلت** اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان **الوظيفة الثانية** ان يقلل علائقه من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة

ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما القي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار اليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى صلوات الله عليهما حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران **فان قلت** فقد قال الله تعالى فاسالوا اهل الذكر فالسؤال مامور به **فاعلم** انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى صلوات الله عليهما عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده

٤٠

احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته **الوظيفة الرابعة** ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه فان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار

اليه حتى يجره الى معصية الله تعالى في طلبه ظاهره فما ابله من قابل الملائكة بالحداد

الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلوم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم. وقال الشاعر: ومن يك ذا فم مر مريض ❊ يجد مرا به الماء الزلالا ❊ فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى

الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسم المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي يتلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتانى في هذا فعنده ضيعت راس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج

عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب فاعلم ان اشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب

الوظيفة السابعة ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية وثمرة الاخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه وتعالى والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملائكة المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثنا على علم الاخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر

العدل والسياسة في ناحية الفقه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة **فان قلت** فلم شبهت علم الفقه والطب بالغذاء والزاد والراحلة **فاعلم** ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية والة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية الماذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه مصدره واليه مرجعه واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الات ذلك كله فاضطر الى المخالطة

والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشرا الناقة وعلفها وشرا الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها يستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالك لطريق اصلاح القلب او الواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالك طريق الحج او ملابس اركانه فتامل هذا اولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليها غاليا ولم يصل اليها الا بعد جهد شديد وجراة تامة على مباينة الخلق والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السما فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عريانة وذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق كما قيل ❊ ما هو الا ذبالة وقدت ❊ تضيء للناس وهي تحترق ❊

إذا كان قصده إعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال هم درجات عند الله
والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم
إذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى فساقط القدر
بل الرتبة العليا للأنبياء ثم للأولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت
درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل قصد الله بالعلم
أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة **الوظيفة التاسعة** أن يعلم نسبة العلوم
إلى المقصد لكي يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم
ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا
ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان
فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال
سعيا إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في
هذا العالم قدره إلا الأقلون والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله والنظر
إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم
العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي
علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل إن حججت وتممت وصلت إلى العتق
والملك جميعا وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق
مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله
ثلاثة أصناف من الشغل **الأول** تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية وإعداد
الزاد والراحلة **والثاني** السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلا بعد
منزل **والثالث** الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الإحرام
وطواف الوداع استحقاق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل
من أول إعداد الأسباب إلى آخره ومن أول سلوك البوادي إلى آخره ومن أول
أركان الحج إلى آخرها وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في إعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل أقرب منه فالعلوم

أيضا ثلاثة أقسام قسم يجري مجرى إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب
والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع
العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات
الشامخة التي عجز عنها الأولون والآخرون إلا الموفقون فهذا سلوك الطريق
وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل
وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب
لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو
العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة
وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا
كان غرضه المقصد وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا ينالها إلا العارفون
فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم وأما
الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فأما إن كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين
فسلام لك من أصحاب اليمين وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له
أو انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو
من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم **واعلم** أن هذا
هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن أقوى
وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال
من أخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق
والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة
وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات
الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم
طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب
الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل به إلى
الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على نهج

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظايفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدايمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا ان المال

وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصدهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات **الوظيفة الثالثة** ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل الاستحقاق والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك

يوشك ان يرد الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجرى
حب القبول والجاه مجرى الحب الذى ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير
وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل
وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع فى
هذه فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة
فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة فى القلب وغفلة
عن الله وتماديا فى الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به
غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر
واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك فى العباد والبلاد والله اعلم
وقد رأى سفيان الثورى حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا
يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة
الرابعة** وهى من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق
بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان
التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس
عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شىء وينبهك على هذا
قصة آدم وحواء وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لك لتكون سمرا بل لتنتبه
بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان
الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العمل
به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الوظيفة الخامسة** ان المتكفل ببعض
العلوم لا ينبغى ان يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته
تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك
نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام
ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام فى حيض النسوان فاين ذلك من
الكلام فى صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغى ان يجتنب بل

المتكفل بعلم واحد ينبغى ان يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غيره فان كان
متكفلا بعلوم فينبغى ان يراعى التدريج فى ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة
السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او
يخبط عليه عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر
الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث
اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث
قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال على رضه واشار
الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضى الله عنه
فقلوب الابرار قبور الاسرار ولا ينبغى ان يفشى العالم كل ما يعلمه الى كل احد
هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن من اهل الانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال
عيسى صلوات الله عليه لا تعلقوا الجوهر فى اعناق الخنازير فان الحكمة خير
من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار
عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت
المعيار وسئل بعض العلماء عن شىء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال
اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمنى وقد قال الله تعالى
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره
اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق
شعر فمن منح الجهال علما اضاعه ∴ ومن منع المستوجبين فقد ظلم
الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغى ان يلقى اليه الجلى اللائق به ولا يذكر له
ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى
ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد
الا وهو راض عن الله فى كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم
بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه
العقائد المأثورة من السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك

سيرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده
بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام
ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب
شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقايق
العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات
التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن
ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى
ويهلك وبالجملة لا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم
التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص **الوظيفة الثامنة** ان يكون المعلم
عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار
وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا
وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد
حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستاثر به
ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف
ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله ∴ عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم
في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم
متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم
بتهتكه

الباب السادس
في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضايل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات
عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة
العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء

الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها
قال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا
وقال ايضا صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى
على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا صلى الله عليه وسلم يكون في
آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لا تعلموا
العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن
فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده الجمه الله بلجام
من النار وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال اخوف عليكم من
الدجال فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام
الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من
الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة
الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة **الآثار** فقد قال عمر
رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون
منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن
يجمع علم العلماء وطرايف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة
اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له
وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا
فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن
احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل
يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري انه
لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك
جاهل فارفضوه وقال الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا
ارتحل وقال ابن المبارك رحمه الله لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه

قد علم فعمل جاهل وقال الفضيل إني لأرحم ثلاثا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما
يلعب به الدنيا وقال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وأنشدوا
عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وقال صلى الله عليه وسلم إن العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما
لشدة عذابه أراد به الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار
بالرحى فيطوف به أهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه
وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم
ولذلك قال الله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار لأنهم جحدوا بعد
العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله ولدا ولا قالوا
إنه ثالث ثلاثة ولكن أنكروا بعد المعرفة إذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم
وقال فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم
الفاجر فإن بلعم أوتي كتاب الله فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أي
سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي
تترك الماء يخلص إلى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها
جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامرة وباطنها عظام الموتى
فهذه الأخبار والآثار تبين لك أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا
وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات
فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا
وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها
وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما
أسخطت الأخرى وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما
كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت من الآخر وأنهما كقدحين

وأحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فإن من لا يعلم
حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بآلامها ثم انصرام ما يصفو منها فهو
فاسد العقل فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك فكيف يكون من العلماء
من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان فكيف
يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع
بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن
من أوله إلى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر
الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من أحزاب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام
إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي
يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي
أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود
من رد إلي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك
قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة
ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا
وقال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فإن
كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب أن الله
عز وجل يقول إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة
مناجاتي من قلبه وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور
علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن
معاذ الرازي يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم
كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم
فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية وأنشدوا
وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاة لها ذئاب
وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين اترى ان من يكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال
ما اشك ان من يكون الدنيا آثر عنده من الاخرة انه لا يعرف الله وهذا دون
ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر
من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل
يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي و دفن بشر بن الحارث بضعة عشر
ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهب
عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث
فلا تحدث فاذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب
الارشاد اعظم من كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا
ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف
لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم لولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل
كله هباء الا الاخلاص وقال الصفا الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى
الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به
وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب
المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث
الذي لا يحتاج اليه في طريق الاخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم
من مسيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب
الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ
وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد
عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء باكل الدنيا بالعلم
ووصف علماء الاخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا قليلا وقال
في علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله
اجرهم عند ربهم

وقال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة
السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى ابو الدرداء
انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون
لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون
للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من العسل
وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لافتحن لهم
فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ
عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء
ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا
شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن
عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار
ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا
فضن به عن عباد الله تعالى واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ
من حساب الناس واشد من هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى صلى الله عليه وسلم
فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى
كليم الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسأل عنه فلا يحس له
اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود فقال له
موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده
الى حاله حتى اساله فيم اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني
به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان
يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا
في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام
احب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ
وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد

عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلما من يكون في علمه بمنزلة السلطان
فان رد عليه شي من علمه او تهاون بشي من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من
النار ومن العلما من يجعل علمه وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار
ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلما من ينصب
نفسه للفتيا فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار
ومن العلما من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس
من النار ومن العلما من يتخذ علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك
السادس من النار ومن العلما من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف
وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان
واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد
لينتشر له من الثنا ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة
وروى ان الحسن رضه انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة
آلاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه
كسوة فقال الحسن رضه عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا
بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة
ولا خلاق له وروى عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين
ومن الريا الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة
الى النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة
الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب
الله خير فعرف اهل العلم بايثار الاخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله
قوله بل لا يامر بالشي ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون
وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا
الله ويعلمكم الله واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى صلوات الله عليه يا ابن مريم

تعالى

اتقوا الله واعلموا

عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من النار
فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك
امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلما وخير الخيار
خيار العلما وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار
فاوحى الله اليها بطون علما السوء انتن مما انتم فيه وقال الفضيل بلغني
ان الفسقة من العلما يبدا بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدردا
ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع
قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما
ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله
وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به
ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل
بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطر عن الصفا وانشدوا
يا واعظ الناس قد اصبحت متهما ۞ اذ عبت منهم امورا انت تاتيها ۞
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم ۞
وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه
مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من
مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على الله وكم من مقرب الى
الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله
منسلخ من آيات الله وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن
ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه
قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس
العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا
ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال الاوزاعي اذا جا الاعراب
ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به

كمثل امراة زنت في السر فحملت وظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل
بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ رضه
احذروا زلة العالم فان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال
عمر رضي الله اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلث يهدم
الزمان احدهن زلة العالم وقال ابن مسعود رضه سياتي على الناس زمان يملح
فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فيكون قلوب علمايهم
مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السما ولا يوجد لها عذوبة
وذلك اذا مالت قلوب العلما الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة فعند ذلك
يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم
حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب
الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان
المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا
علم ما لم تعلموا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك
وسياتي زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل
العالم مثل القاضي فقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلثة قاض قضى
بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار
وقال كعب يكون في اخر الزمان علما يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون
ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة وياتون ويؤثرون الدنيا
على الاخرة وياكلون بالسنتهم يقربون الاغنيا دون الفقرا يتغايرون على
العلم كما يتغاير النسا على الرجال يغضب احدهم على جليسه اذا جالس
غيره اولئك الجبارون اعدا الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان
الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله فكيف ذلك قال يقول اطلب
العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت
وما عمل وقال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم
الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول لي الى كم تضيع العلم ضيعك
الله

فقلت اني لا احفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت
على العمل وقال ابن مسعود العلم ليس بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن رضه
اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفها همتهم
الرواية والعلما همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان
نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين
تمسي ولا تؤثرن عليه شيا وقال ابن مسعود رضه انزل القران ليعمل به فاتخذتم
دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم الذي
لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوا والجايع الذي يصف لذايذ
الاطعمة ولا يجدها وفي مثله يقال ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر
مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال منافق في القران ومنها ان يكون
عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم
التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض
عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد
صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال
عن خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو
مواخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس
العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شا الله
قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شا الله قال اذهب
فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرايب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من
جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم
صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال فما تعلمت مني في هذه
المدة فقال ثماني مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب
عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسايل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا
احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها قال حاتم

نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحبّ محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا
وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي
معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله تعالى واما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه
هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة
اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه
وحفظه ثم نظرت في قول الله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق
فكلما وقع معي شيء له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لي عنده الرابعة
اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب
والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تعالى ان
اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة
نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل
هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة
الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت
عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض
ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله سبحانه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه
انه عدو لي فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت
كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت
الى قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه
الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة
نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته
وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق
فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي
قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم التورية والانجيل والزبور

والقرآن العظيم فوجدت جميع انواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان فمن استعملها فقد استعمل
الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الآخرة
واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون
امثال هذه العلوم التي بعث بها الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم
وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان يكون غير
مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يوثر
الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل في جميع
ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة
درجته ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم
الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا يريد الحج وعليهم
الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف
يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة
فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل
والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل
قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا
يقول باب عالم على هذه الحالة ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا
بزة وسعة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا هو
بفرش وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي فسال
وحاتم قائم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك
حاجة فقال نعم فقال وما هي قال مسئلة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستو
حتى اسالك فاستوى فقال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني
به قال عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحابه صلى الله عليه وسلم
عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن
قال عن جبرئيل عن الله سبحانه وتعالى قال حاتم ففيما اداه جبرئيل عن الله تعالى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه
الى الثقات وما اداه الثقات اليك هل سمعت في العلم من كان في داره اميرا
وكانت

سعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكثر قال لا قال فكيف سمعت
قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة واحب المساكين وقدم لآخرته
كان له عند الله عز وجل المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول
من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل متكالبا على الدنيا
راغبا فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده
فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له
ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه
فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلوتي
كيف اتوضأ للصلوة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتي به
فقعد الطنافسي فتوضأ ثلثا ثلثا ثم قال هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك
حتى اتوضأ بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ
ثم غسل الذراعين اربعا اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم
فيماذا قال غسلت ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في كف من ماء
اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون
التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد
اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي ليس يكلمك
احد الا قطعته قال لان معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب
خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان لا اتجاهل عليه فبلغ ذلك احمد بن
حنبل رحمه الله فقال سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا
يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى
يكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك
وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله
اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فاين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر

انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان
لهم قصور انما كان لهم بيوت لاطئة فقال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون
فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون
قال الوالي ولم ذلك قال حاتم لا تعجل علي انا رجل عجمي غريب دخلت البلد
فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال
وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تأسيتم
برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون اول من بنى بالجص والآجر
فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسياتي من سيرة السلف في البذاذة
وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح
ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة
الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب يلزم في الغالب من مراعاتها ارتكاب
المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخر هي محظورة
والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت
السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا
حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب في اثناء الخطبة الى غير ذلك
مما سياتي بيانه فقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد في الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس
اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء
وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطايا
وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك
بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام
فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك
اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والادب
امتعك الله تعالى بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق

والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر
الله تعالى وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولابد منها
مركبا بل فلسنا ندعي من كمال مثله السلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف
بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه
اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه
على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز
الى المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح
خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية
الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون مستقبضا عن السلاطين
لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن
مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين
والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم
ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم
وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة
الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في كلامه
لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من
دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يوخذ
من اموال السلاطين وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم
مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم
من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى
السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون
منهم وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع
ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد
لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف
الفتن

قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب
ويقول ما ليس فيه وقال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد
الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم
واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذه
عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان
فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل وقال سعيد بن المسيب
اذا رايتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا عنه فانه لص وقال الاوزاعي
ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وسلم شرار
العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول
الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا
لما في يديه خاض في جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى
الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال
اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربته اذ ما دخلت
قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم
ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت اني
انجو من الدخول كفافا مع اني لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء
ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص
وما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره
دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن لقد كان فيمن كان قبلكم رجل
كان له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك
عنى به سعد بن ابي وقاص وكان لا يغشى السلطان ويقعد عنهم فقال له بنوه يا ابت
هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني
اآتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا شاركتهم فيها قالوا
يا ابانا اذا تهلك هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي
من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان

التراب ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان
لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة
لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك
افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم
لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان
في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى
ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان يتلطف
في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال
العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا
فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله
اما بعد فاشر علي باقوام استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل
الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم
يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد
اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره
ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل بن عياض
وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام
اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم للسلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى
الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه
تحقيقا بنص كتاب او بنص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما
يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه
واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد
عظيم وفي الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي
لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن
نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف
كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس

فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رض ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه
لمجنون وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاها اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم
ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا
سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم
ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان
اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام
ومر علي رض وعبد الله رض برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني
وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسألة فكانما يقلع ضرسه وكان
ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص
النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت
وكان ابراهيم التيمي اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي
وكان ابو العالية الرياحي وابراهيم والثوري وابراهيم بن ادهم رحمهم الله يتكلمون
على الاثنين والثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم
ما ادري اعزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا
ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل فساله فقال لا ادري
حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق
وكان ابن عمر يسال عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع
وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء
من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفيان الثوري ومالك بن انس
واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن
ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منهم من احد يسال عن حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر
كانت المسألة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى آخر
حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس
مشوي وهو في غاية الضر فاهداه الى آخر واهدى الآخر الى آخر وهكذا

دارسهم حتى رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلما فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراة القران وعمارة المساجد وذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الاية وراى بعض العلما بعض اصحاب الراي من الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الراي والفتوى فغير وجهه واعرض وقال ما وجدناه شيا وما حمدنا عاقبته وقال ابو حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاسا طين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون ويقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بير عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان الداراني المعرفة الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدردا وكان قد اخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سيل وكان انس رضي الله عنه اذا سيل يقول سلوا مولانا الحسن

وابن عباس يقول سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسيل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيره حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصا ورماهم به وقال تسالوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكه وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة في دقايق علم القلوب وتتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم متوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطايف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرايل لا تقولوا العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارضين من يصعد به ولا من ورا البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلما والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهدا ثم تلا قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال الله تعالى من اذى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الى عبدي بشي افضل من ادا ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي

بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فان سالني اعطيته وان استعاذني اعذته الحديث وفي بعض الروايات فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا فبي يسمع وبي يبصر الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القران تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملات ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوض فيه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هولا العلما قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احيا والعلما باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بلى اجد طالبا غير مامون يستعمل الة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليايه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهما الانعام السايمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قايم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خايف مقهور

لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اوليك اوليا الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكا وقال واشوقاه الى رويتهم فهذا الذي ذكره اخرا هو وصف علما الاخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين معناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتدا بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المر الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القران الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال

بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه **فاعلم** ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات **الاول** ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه اثباتا ونفيا بل يستوي عندك امكان الامرين فهذا يسمى شكا **الثاني** ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا **الثالث** ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسع نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن قبوله **الرابع** المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء **ومثاله** انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم ازلي ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من

يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان يكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك **الاصطلاح الثاني** للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين

بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف **فاذا فهمت هذا** علمت ان المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم ثلثة انقسامات بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني اما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال اما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به الشرع وقد يكون قوي اليقين في بعضه **فان قلت** فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وقلته وكثرته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيما ذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه **فاعلم** ان جميع ما ورد به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت به الشرائع فلا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها **فمن ذلك التوحيد** وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازالت منه الغضب على الوسائط والرضى منهم والشكر لهم

ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى على قلبه التوكل والرضا والتسليم وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين **ومن ذلك** الثقة بضمان الله تعالى بالرزق في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما يفوته واثمر هذا اليقين جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة **ومن ذلك** ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ **ومن ذلك** اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع اعماله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه

حسب اي مثل

ايضا

وما يختفي في الضمائر اي ما يدور فيها ويخطر وهواجس الصدور وخواطرها

فانه لا يزال مطرقا متأدبا ساكتا متحرزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب
ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته
كما يطلع الخلق على علانيته فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه
لعين الله تعالى الكالية اشد من مبالغته في تزيين علانيته لسائر الناس وهذا
المقام يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة
من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة
فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب
كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق
كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله
مجار وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات وهذا
القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الان ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا
صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه
ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته
دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة
والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من خشوع
في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيماء الصالحين والعلماء فاما التهافت
في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق
فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد
سخطه وهو دأب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا
لان العلماء ثلثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بامر الله لا بايام
الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم
بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله هم
الصديقون والخشية والخشوع انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع
عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة
واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي
الله عنه

لتلك الرتبة وقال يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب
يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له
فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله
عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك
مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة
خير وابقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تكونان في منافق
حسن سمت وفقه في دين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض
فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته و
سيأتي بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان
الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت
برأته عن النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم افضل
الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني
عنه اغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان
فلباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال صلى الله عليه وسلم
اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل
العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد
فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم
موت قبيلة ايسر من موت عالم وقال صلى الله عليه وسلم الناس
معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال
صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء
وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى
يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال
صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث

وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل
عليم وقال صلى الله عليه وسلم العالم امين الله سبحانه في الارض وقال صلى الله عليه وسلم
صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس الامراء والفقهاء وقال صلى الله
عليه وسلم اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي
في طلوع شمس ذلك اليوم وقال في تفضيل العلم على العبادة والشهادة
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف
جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد
عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب
عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله
عليه وسلم يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل
الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل من فقه
في دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء
عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره
وافضل العبادة الفقه وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم
على المؤمن العابد سبعون درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم
في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل
فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه
قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم
بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر
سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله
عز وجل فقيل اي الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسأل عن العمل و
تجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل
لا ينفع مع الجهل وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله العباد يوم القيمة

السلام على رسوله محمد وعبده وعلى آله واصحابه من بعده
فقد فرغ من كتابة هذا المجلد [illegible] الصالح الصادق
[illegible] المحفوظ [illegible] الدين ابو القسم بن حاج سالار
[illegible] الله تعالى [illegible] في الدين وجعله من العلماء
الراسخين [illegible] والله داعي [illegible]
[illegible] اضعف العبيد [illegible] محمد بن
علي [illegible] كتابته في يوم الثلثا العاشر
من ربيع الآخر سنة سبع عشرة وستمائة [illegible] غفر الله لها
ولوالديها ولاستاذيها ولمن قرأه ولمالكه ولكاتبه ولمن عمل
بما فيه ولجميع المؤمنين والمؤمنات بفضله ورحمته وصلى وسلم على
خير خلقه محمد وآله واصحابه [illegible] وعلى سائر الانبياء والمرسلين
آمين رب العالمين [illegible]

[illegible]

[illegible] العباس [illegible] الصالحون والائمة المتورعون
الامام الفاضل [illegible] محمد [illegible]
[illegible] وجعلهم من العلماء [illegible]
[illegible] المحققين [illegible]
[illegible] الصالحة [illegible]
[illegible] حامدا ومصليا اللهم [illegible]
[illegible] محمد الغزالي الطوسي [illegible] يوم الدين
[illegible] وعلى سائر الانبياء والمرسلين

ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة
ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
مائة مرة ويدعوا لنفسه ما شاء من امر دنياه واخرته
ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في
معصية ولهذا ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة
في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونه
كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيد
قال صلى الله عليه وسلم من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم
تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسعة عشر تستحب
مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة
وعشرين من رجب له شرف عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين
شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
بالرسالة ويوم سبعة عشر من شهر رمضان وهو يوم وقعة بدر
ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام
المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات
وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر
رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه من
الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الاخرة واراد به
العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في
الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى
وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة
الى الاعادة والله اعلم تم كتاب ترتيب الاوراد وبه تم
ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين والحمد لله وحده والصلوة

تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون
وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم
بجهلكم وقال تعالى ما اتى الله عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا
وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله علما
وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان
من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا
من خوف عذاب الله ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم
في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم
وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من
طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء
والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة
وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم
قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل
من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق
وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى الى النبي قل له الان
وافقت رضاي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر
احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق
المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم هم احق بالمقت من ذلك الشرطي
وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال خير قال اجتناب المحارم ولا يزال
فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت
اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان
نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال
اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا
رؤوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا
يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان

اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الاخرة
اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا
وقال علي رضي الله عنه في خطبته ذمتي رهينة وانا به زعيم انه لا يهيج
على التقوى زرع قوم ولا يظما على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس
من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله رجل قمش علما اغار في اغباش
الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما
بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من اجن واكثر من
غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به
احدى المبهمات هيأ حشو الراي من رايه فهو من قطع الشبهات في مثل
غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط
عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع
فيغنم تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام ولا ملي
والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت
عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء ايام حيوة الدنيا
وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بالهزل
فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم
مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر
والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على
المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد
بها القران لا ينفك عنها علماء الاخرة لانهم يتعلمون القران للعمل لا للرياسة
وقال ابن عمر رضي الله عنه لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يوتى الايمان
قبل القران وتنزل السورة فنعلم حلالها وحرامها واوامرها وزواجرها
وما ينبغي ان يتوقف عنده منها ولقد رايت رجالا يؤتى احدهم القران
قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما امره وما زاجره
وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر

بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل
القران وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القران قبل الايمان يقيمون حروفه
ويضيعون حدوده يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم
منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار هذه الامة وقيل
خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الاخرة مفهومة من خمس ايات الخشية
والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا وهو الزهد
اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع
فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع
فمن قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق
فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا
الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل
فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود
والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما
يفسد الاعمال ويشوش القلب ويهيج الوساوس ويثير الشر فان
اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها
المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها
ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس
الحاجة اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة واما علماء الدنيا
فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع
صور ينقضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت
كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم اناء الليل والنهار
في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه

اللازم بهمه غيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على القرب
من الله وبشرها في ان تسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما
بالدقايق وجزاوه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر
عليه صفوه بنوايب الزمان ثم يرد القيمة مفلسا متحسرا على ما يشاهده
من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان
الحسن البصري رحمه الله اشبه الناس كلاما بكلام النبي صلى الله عليه وسلم واقربهم
هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر
القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من
شهوات النفس وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن
اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع
من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الناس يسالونه عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت
ان الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسالونه
عن فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما راني
اسال عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص ايضا
بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن
وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسالونه عن الفتن العامة
والخاصة وكان يسال عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمايهم
وكان عمر رضي الله عنه يساله عن نفسه هل يعلم به شيا من النفاق فبراه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه
اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى
صاحب السر فالعناية بمقامات القلب واحواله هو داب علما
الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا
مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا
تزويق المذكرين فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقايق المجادلات

ولقد صدق من قال
الطرق شتى وطرق الحق مفردة ⁂ والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم ⁂ فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ⁂ فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر
والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات
القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه
ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل
العمر صومه فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند الموت ومتى يكثر الرغبة في
مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ
والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلثة
مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم رحمهم الله وكان يجلس الى اوليك
الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هولا عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان
النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعوام فامره قريب
ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على
الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم
فيما امر به وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم
في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان
المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم
لم فعله لا بد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال
والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك
كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من
غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور
الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما من احد الا يوخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد كان تعلم بعض ابن عباس من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم
خالفهما في الفقه والقراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاءنا عن
التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم
ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم
من نور النبوة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ وإذا كان الاعتماد على المسموع
من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل
الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منه في زمان الصحابة وصدر التابعين
وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع
الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار
التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب
لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر الصديق رضي الله عنه
وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في المصحف وقالوا كيف نفعل
شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصحف
وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون
هو شغلهم وهمهم حتى أشار عمر وبقية الصحابة رضي الله عنهم بكتبة
القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد
أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله
لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك بن
أنس تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة وقيل أول
كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد
الصنعاني باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطأ

بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات
الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات ثم مال الناس
إليه وإلى القصص والوعظ بها فأخذ علم التفتيش في الاندراس من ذلك الزمان
فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد
الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص
المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لأن العوام هم المستمعون
إليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم
ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم
العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب
عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كان إذا قيل لهم فلان
أعلم أم فلان فيقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص
يدركون الفرق بين العلم وبين الكلام وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف
الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن
مظهر الإنكار يستهدف للنسبة إلى الجنون فالأولى أن يشتغل الإنسان
بنفسه ويسكت ومنها أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق
عليه الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة
وليكن حريصا على التفتيش عن الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه
أكثر همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية
وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم
في العشرة أم في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر
والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات
النفس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا أن أعلم أهل
الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطرائق السلف فمنهم
أخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين
لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في

ناموس أعضا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من أحدث في ديننا ما ليس
فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين
قيل يا رسول الله وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها
وقال صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين
بإبداع ما يخالف السنة بالنسبة إلى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك
في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر
فأما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه
جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق
ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله
عليه وسلم عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي
وقال ابن عباس إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها قال الله تعالى
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال أيضا أفمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا فكل ما أحدث بعد الصحابة ما جاوز قدر الضرورة والحاجة
فهو من اللعب واللهو وحكي عن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت
الصحابة فرجعوا إليه محسورين فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل
هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد أتعبونا فقال إنكم لا تقدرون عليهم
قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتي بعدهم قوم
تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين
فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب
فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات
فقال إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم
ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم
بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل
سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الأول فبث فيهم الأهواء

وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون
عنها فسلط عليهم الأعداء وقادتهم أين شاؤوا فإن قلت من أين عرف
قائل هذا ما قاله ولم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب
يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن يخطر لهم على
سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة
وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة كما يكون في
المنام وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا
الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة فإياك أن يكون حظك
من العلم إنكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من
العلماء الزاعمين أنهم أحاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل
يدعو إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله ومن أنكر ذلك للأولياء
لزمه إنكاره للأنبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض
العارفين إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور
لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى
وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري إن من أعظم
المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة
وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله بل ينبغي أن يتهم
كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه
ولذلك قال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
أمره فرطا والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين
المعتقدين أنهم من العلماء لأن العاصي معترف بتقصيره فيستغفر
ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم وأن ما هو مشتغل به من
العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر
بل لا يزال مستمرا عليه إلى الموت وإذا غلب هذا على أكثر الناس إلا
من عصمه الله وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم للدين المحتاط

لموافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه
لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة
فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا
في الاسلام رجل ذو رأي سوء يزعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد
الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار ان رجلا
اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه
الى هواه قد عصمه الله منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم
ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود
موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدى فاحسن الكلام
كلام الله تعالى واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات
الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة
ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب
الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية
وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت
خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل
بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة
ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود رضه يقول حسن الهدي في
آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع
في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت المتوقف لكثرة
الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم
عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من
هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان
قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف
به ولقد صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في
عصر الصحابة

اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال
العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش
البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون
قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل
والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من
المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التعسف في النظافة
والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع
التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود
حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون
العلم تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على
الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن
الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء
يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم
كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه
ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد
اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان
الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد
الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع
الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه
الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث
مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري
وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انه خير مما تعلم
ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله
لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء

العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط
الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان
آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة
الناس لا تنفك عن غيبة او سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله
ان يفيد علما ولو تأمل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة الى طلب
الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه
كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح
السيف للغزو ولذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به
الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء
الآخرة تجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين
اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان
تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين
بسيرة العلماء الراسخين وتلحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين
نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا
ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل

اعلم ان هذا ما
لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل
منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور
من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في
الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم
العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة
اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه
بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في
قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة
قوته

بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى العامة والاتراك واجلاف
الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين
قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت
اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة صلى الله عليه وسلم هابوه وترآءى لهم
ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه
بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد
ما وردت به الاخبار والآيات والآثار في ذكر شرفه وقد سماه الله سبحانه وتعالى
نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا
ووحيا وحيوة فقال او حينا اليك روحا من امرنا وقال او من كان ميتا فاحييناه
وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات
الى النور وقد قال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا
بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم
واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان ذميم المنظر حقير الخطر دني
المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر
عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير
اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من
الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل
فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم
علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل
ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر
قايم بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة
وغرضنا علم المعاملة وعن انس رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي
صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل
الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا
عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم

من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر
عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي
صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه
حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه
درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند
ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر
عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا
في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم
قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك
فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البراء
قال كثرت المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس
ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل فاحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد
سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره
ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف
ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت
نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى
فاذا كان يوم القيمة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم
وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا
في طاعة الله بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعلمهم
بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول
الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت وفي الآخرة
قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا
الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت

اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية
المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية
العباد العقل ولكل قوم راع وراعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة
وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل
ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به
وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط
وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المؤمنين الى الله
من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به
ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا
واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون
عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق
الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق
اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع
اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي به
يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي استعد لقبول العلوم
النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث
المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية
وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر
هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم
يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوة
غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك
العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى
بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة

في الجماد والبهايم

تخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الجماد وسابر البهايم لجاز ان يستوي
بين الجماد والجماد في الحيوة وبقال لا فرق الا ان الله يخلق في الجماد حركات
مخصوصة بحكم اجرا العادة فانه لو قدر الجماد جمادا لوجب القول
بان كل حركة تشاهد منه فالله تعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد
وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا لغريزة اختصت به
عبر عنها بالحيوة فكذلك مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية
بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام في
حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك
العين تفارق الجبهة في هيات وصفات بها استعدت للرؤية
فنسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القران
والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس
الى البصر فهكذا ينبغي ان تفهم هذه الغريزة والثاني هي العلوم التي تخرج
الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات
كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في
مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض
العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح
في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان
ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم والثالث علوم تستفاد
من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب
يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل
فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا والرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة
الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة
ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان
اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة
العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن ساير الحيوان

فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث
فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية يستفاد علوم
التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان
بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه شعر
العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع
الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق
الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي
انت وامي يا رسول الله وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرايض
الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة
وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب
وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من
اعلم الناس فقال العاقل قالوا فمن اعبد الناس قال العاقل قالوا فمن افضل
الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته و
جادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم ان كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا
دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته
ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما
اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشي بثمرته فيقال العلم هو الخشية
والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن
ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم
يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها
بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر
الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست شيا

واردا عليه من خارج وكانها كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله الماء
في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه
شي جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا في اقرار
الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولين سالتهم
من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت به نفوسهم وبواطنهم
فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله بل على
معرفة الاشياء على ما هي عليها اعني انها كالمضمنة فيه لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من اعرض
فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها
بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب
واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكان التذكر ضربان
احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود
والآخر ان يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة
للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف
والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر
واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والايات
ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار
ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني
المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها
فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة يجري
مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر
من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن بصيرة الظاهر قال تعالى ما كذب الفواد ما راى

وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى وقال
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان
بالبصر وبعضها بالبصيرة ويسمى الكل روية وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنة
ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام
ما ينطلق اسم العقل عليها

بيان تفاوت الناس في العقل

اختلف الناس في
تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والمبادرة
الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة
سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات
فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون
شخص في مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل ما يدركه
ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق
اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت
الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون
لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن
غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله
قدر عليه وشهوة الريا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه
التفاوت في العلم المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما
عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا
وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه
اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم
اقدر على ترك المعاصي من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي
دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة
الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا
الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه

وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد. وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتا في الغريزة وإما تفاوتا في الممارسة. وأما الأول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فإن أوائله تخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس. وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى إن غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات. ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور دون التعلم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الأنبياء صلوات الله عليهم إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالإلهام وعن مثله عبر صلى الله عليه وسلم حيث قال إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به. وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة فالخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن

أن معرفة درجات الوحي يستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وإن كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا أو وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا. وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال عز وجل فإني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والأربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك. فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم. فأما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمها وقد أثنى الله تعالى عليه وإن ذم فما الذي بعده يحمد فإن كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت إلى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الإيمان لا بالعقل فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان

وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم. تم كتاب العلم والحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه وآله

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول فصول الأول وبالله التوفيق

الكتاب الثاني من كتب إحياء علوم الدين قواعد العقائد

الفصل الأول في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

الحمد لله المبدئ المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف إياهم أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء

وتصرم الآماد وانقراض الآجال بل هو الأول والآخر والباطن والظاهر

التنزيه وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وأنه استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد فهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته وليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار في دار القرار وإتماما للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم

القدرة وأنه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور

لا يحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات محيط
بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضمائر
وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الازال
لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكائنات
مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر
نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة
او عصيان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيته فما شاء كان وما لم يشا
لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال
لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه فلا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته
ولا قوة له على طاعته الا بمشيته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين
على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته
قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في
اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت
على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان
فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب
عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد
ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم
بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه
ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي
قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء او اصطكاك
اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتوراة والانجيل
والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف
محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال
الى القلوب والاوراق وان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار

ذات الله من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا
عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والقدرة والعلم والارادة
والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا هو
حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها
وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان
وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس
حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان لم يكن شيئا
اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده
اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره
اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب
ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة
والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم
بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا
ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق
واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد حق
وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد
العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا
امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به
معنى الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول وانه تعالى بعث النبي الامي القرشي
محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ
بشرعه الشرائع الا ما قرره وفضله على ساير الانبياء وجعله سيد البشر ومنع
كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن به شهادة
الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه

جق اي صح
الاصطول تفضل كردن وبعدي بعلي
الوصب درد الاوصاب جماعه
صلى الله عليه وسلم

من امور الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر به بعد الموت
واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره
سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك
وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان
يؤمن بعذاب القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء
ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق السموات
والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل
تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور
فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات
في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق
وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعرة تزل عنه
اقدام الكافرين بحكم الله فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين
فيساقون الى دار القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم
يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة
لم يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من
العسل حوله اباريق عددها بعدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر
ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه
والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبياء
عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة
عن السنة ويسال المسلمين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين عن النار
بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المؤمنين كل ذلك على حسب جاهه
ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله ولا
يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وان يحسن الظن بجميع
الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين فكل ذلك
مما وردت به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به
كان من اهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب
البدعة فنسال الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين
انه ارحم الراحمين **الفصل الثاني في وجه
التدريج الى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد**
اعلم ان ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه
حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم
الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير
برهان فمن فضل الله على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه للايمان من
غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها
التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد
غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه يقبل الازالة بنقيضه
لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ
ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل
يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف
العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة
القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الاحاديث وفوائدها وبما يسطع
عليه من انوار العبادات ووظائفها وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين
ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة
له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب
كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة
اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام
غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر

التدرج اندك اندك سوى جيزي شدن صراح المصادر
المناقشة باكسي باستقصا شمار كردن صراح المصادر

ما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد
رجاء ان تقوى بان تكثر اجزاؤه وربما يفتتها ويفسدها وهو الاغلب
والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة
اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمتجادلين
فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي
والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط
مرسل في الهوا تفيئه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل
الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين
التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستدلال
بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوؤه على هذه العقيدة
ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق
اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه
العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد
ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى
ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب من الهداية
تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا
لوعده تعالى اذ قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي
هو غاية الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه
حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب
درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة
بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف
ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات
فكذلك هذه **مسئلة** فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم او هو مباح
او مندوب اليه **فاعلم** ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قائل
انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من ان يلقاه
بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال

الذ ح

واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم
ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع اهل الحديث من
السلف وقال ابو عبد الله الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد
وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا
الشرك خير من ان يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر
ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شيء ما ظننته قط
ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام
وحكى الكرابيسي ان الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن
هذا حفصا الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه
حفص الفرد وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى
تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهوا لفروا منه
فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى
فاشهد بانه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني قال الشافعي حكمي
في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال
هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل لا يفلح
صاحب كلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه
حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على
المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست
تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم
ذلك الى الراي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت
ان جاءه من هو اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال
المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال
بعض اصحابه في تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا
وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا
اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف
على هذا

الفرد ح

في الحديث اتخذوا دين الله دغلا اي يخدعون الناس واصل الدغل الشجر الملتف الذي يكمن فيه اهل الفساد والدغل بالتحريك الفساد كالدخل وقال الجوهري دغل في الامر اذا دخل فيه ما يفسده ويخالفه ح الدغاول الدواهي

ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة
مع انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم
بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون
هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء
واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء
وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال
امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم
وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة
الاخرى فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض
وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالامر فيه قريب
اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث
والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية
وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود
صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور
هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية
الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين يحرم معرفة الله بالدليل
وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي
اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة
مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه
ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه فكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة
بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
وقال ليهلك من هلك عن بينة الآية وقال هل عندكم من سلطان اي حجة
وبرهان وقال قل فلله الحجة البالغة وقال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه

ابرهيم ح

في معرض الثناء عليه وقال وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه
وقال تعالى يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال في قصة فرعون
وما رب العالمين الى قوله او لو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن
من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد
قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي البعث قوله قل يحييها الذي
انشأها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل يحاجون المنكرين
ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا
يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم
واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي رضي الله عنه اذ
بعث ابن عباس الى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون من امامكم قالوا
قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة
في يوم الجمل فوقعت عائشة في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون
من ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته
الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن
ابي طالب رضي الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة
في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت انا في الجنة فقال له يزيد بن
عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكوة
ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة من اجل ذلك
نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت
والله انها مني زلة فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا
لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة
فيقال اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر
في ذلك الزمان واما القصر فيه فقد كان الغاية افحام الخصم
واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محالة

قالوا ح

الا انهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها
واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير
والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق
الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كان نادرا او تشحيذا للخاطر
فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان
مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا نعجز عنها عند الحاجة
على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا
ما يمكن ان يذكر للفريقين **فان قلت** فما المختار فيه **فاعلم** ان الحق فيه ان
اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل
واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته
ان علة تحريمه صفة في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه
اطلقنا القول بانه حرام ولا نلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة
تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر
والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت
النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله
وكثيره فنطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره
والى ما يضر عند الكثرة فنطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره
يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل
على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه
الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام
ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
مباح او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته
في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات
وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في
الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص

وقوعها

عندك صح

فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة
وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار
عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك
ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان
الا اذا كان نشوؤه في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه
الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى
والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه
ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء
فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة من ان يفرح به
خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد
وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره **اما**
منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي
عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل
التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته
من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا
فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل
فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب
نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود
ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور
ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام
بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على
العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي
ضعيف يستفزه جدال المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد
بالفاسد يدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها
اذ ورد الشرع بها واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك

الا لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم

التعبد بنده كردن و عبادت كردن

على العوام لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم من تلبيسات المبتدعة كما
تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت
الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال
الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة
وتفصيله ان العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على
سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه
فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم
الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح **واما** العامي المعتقد
للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع
للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن
الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ
العامي اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج
الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه
ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع
من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة
البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد
وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك
الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس
بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد
انتهى هذا الى حالة لا يشفيه منها الا دواء الجدل فجاز ان يلقى اليه وهذا في
بلاد يقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة
الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة
فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف
على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي اودعناه
كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة

اي المهيأ

ان وقعت عليهم وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب
لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال او ثارت في
نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يترقى منه
الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين
ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد الى غير ذلك من
مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يشفه ذلك فقد صارت
العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر
امكانه وينتظر قضاء الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه
او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب
وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه واما الخارج منه فقسمان
احدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات
والاكوان وعن الادراكات والخوض في ان الرؤية هل لها ضد يسمى المنع
او العمى وان كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او يثبت لكل
مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة
والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد وزيادة
اسئلة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق من
لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا
ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيها فائدة
تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه
كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس
فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة
فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحالة
التي يذم فيها والحالة التي يحمد والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع
فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن فقد
ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام

المذكورة صح

بهذا العلوم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وساير الحقوق
بالقضا والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلما بنشر ذلك بالتدريس فيه
والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية
لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض
الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم
ان الحق انه لا بد في كل بلد من قايم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة
التي ثارت في تلك البلدة وذلك لا يدوم الا بالتعلم ولكن ليس من الصواب ان يدرس
على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدوا والفقه مثل
الغذا وضرر الغذا لا يحذر وضرر الدوا محذور لما ذكرنا فيه من انواع
الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال
احدها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام
وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة
فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام
ولا يرجى فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى
ولا يكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان
ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على ازالة
الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعبا التكليف فيكون ما يفسده مثل
هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك
ان الحجة المحمودة في الكلام هي من جنس حجج القران من الكلمات اللطيفة المؤثرة
في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي
لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها
صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي
وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر
الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس رض من مناظرة الخوارج وما
نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر

القشر الثالث ... في الخارج ... يريدان ... الحق ... وتعليم ...

وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في
كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان تختلف الحكم لذلك فهذا حكم
العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما
ازالة الشبه وكشف الحقايق ومعرفة الاشيا على ما هي عليه وادراك
الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا
المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال على الله بالكلية وملازمة الفكر الصافي
عن شوايب المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من يتعرض لنفحاتها
بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك هو البحر
الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسئله فان قلت فهذا الكلام
مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا
وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي
والسر الخالي عن كل شي من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون
مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر
والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها
ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في اول الصبى شيئا وجمدوا
عليه فلم يكن لهم ترق الى شاو العلى ومقامات العلما والاوليا وذلك ظاهر
من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقران ظاهرا وباطنا وحدا
ومطلعا وقال علي رضي الله عنه ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة
وقال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا امرنا ان نكلم الناس على قدر
عقولهم وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم
الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون وقال صلى الله عليه وسلم ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفها
الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم
لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك
سرا منع من افشايه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم

فاجزالها ... وفيضوضة ... لكثرة ... علي ضيقة الواقع ... ٢

اذ ليس للشرع ٩

يطلع ... الذي ... علم القران

لا يعرفه ٤

ولا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رض في قوله تعالى
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت
تفسيرها لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم
ما فضلكم ابو بكر بكثرة الصيام والصلوة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في
ان ذلك كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد
الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري للعالم
ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره
الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين
افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر لبطلت
النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلما بالله سر لو اظهروه
لبطلت الاحكام وهذا القايل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في
حق الضعفا لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض
وان الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة
مسئله فان قلت فهذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات
فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا
للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف
الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن
وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون
للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال
يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم
المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها من اعمال
القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب
عليها لا بان نتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به
كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل
ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف

... الفضل ... يفعل الله ... ح

الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك
خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال
ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب
منه الى الايمان بل الاسرار التي تختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون
في علمها ويمتنعون عن افشايها اليهم يرجع الى خمسة اقسام الاول
ان يكون الشي في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص
وعليهم ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر
افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركها وتقصر
الاوهام عن تصور كنهها ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه
ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاوليا والعلما وان لم يكونوا انبياء
ولكنهم يتادبون باداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله
سبحانه من الخفايا ما يقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها
الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف
ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس
للخلق ما يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر
للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه
ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق
وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك
الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال او مما كان
له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما
تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل
والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم

فكانه ٩

تجوزه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به انى اعجز عن التعبير
عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله
بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل سبيلا الى معرفته
الا بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض
وهو ان احد الاقسام ما يكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات
الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى سبعين حجابا من نور
لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثاني من الخفيات
التي تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن
ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذى منع
اهل العلم به عن افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا
ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل
وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضاء الله عز وجل
وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة
على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة
من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا
اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيمة لو ذكر
ميقاتها وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد
وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت
العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف
واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا
لهذا القسم القسم الثالث ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر
ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع اغلب
وله مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر
فى اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق

الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان
فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك
ومن هذا قول الشاعر رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل
فانه عبر عن سبب سماوي فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى
التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت ترى ان
ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد كونه
معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال
اجزاء الجلدة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام
ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون
ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل بخاصيته
وهو البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار فى معنى
البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى اذ من غاية
الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر
على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي فان يكون حمله على
الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذ فتشنا عن صدور المؤمنين فليست فيها اصابع فعلم انها كناية عن القدرة التي هي
سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصبع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا
فى تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما امرنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان
خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل
وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية
اوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما المدرك بالشرع
فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر

كما ورد فى تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية
وان معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل
شيئا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر فانه وان
ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث
وفى هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط
وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر
غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر القسم الرابع ان يدرك الانسان
الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا
له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر
والآخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلام او على
البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك
تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك فى العلم
والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت
قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع
بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات
متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر
بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل
زواله فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة
الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه
الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس فى شيء منها باطن يناقض الظاهر
بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال
عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير
بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم
تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذى ورائي وهذا
تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا

او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر فى فهمه الى ان يقدر حيوة وعقلا
للارض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض
فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان
الحال وانه نبأ عن كونهما مسخرة بالضرورة ومضطرة الى التسخير ومن هذا قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا
ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه
ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا
بوحدانية الله تعالى كما قيل شعر وفى كل شيء له شاهد دليل على انه واحد
وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم
لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من شيء الا وهو محتاج فى
نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده فى اطواره فهو
بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين
على الظواهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفقهون
اصلا واما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل
شيء شهادات شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر رزقه
وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت
ارباب الظواهر وارباب البصائر فى علمه ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر
وفى هذا المقام لارباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر حتى
انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم
وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذى انطق كل شيء وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفى
الميزان وفى الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة فى قولهم افيضوا
علينا من الماء زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون فى حسم الباب
منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب
بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت

بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم
الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب
اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم ان
الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل
حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الامر
عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا
الزجر وتشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت
حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة
والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وذهب طايفة الى الاقتصاد
ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة
على ظواهره ومنعوا التاويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا
من صفات الله تعلق الروية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا
المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط
وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها
على الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار
وباشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن
ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوه
الى الام عقلية روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا
ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك
بالحس وهولاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود
الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور
بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليها
نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين
قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد

على الواقع ه

فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد
مقام احمد بن حنبل والان فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور
داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان
موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة
واذ راينا ان نقتصر لكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها
وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش
لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة
مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر
فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية
وهي هذه

الفصل الثالث من كتاب قواعد العقايد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار اليقين وآثر رهط الحق
بالهداية الى دعايم الدين وجنبهم زيغ الزايغين وضلال الملحدين ووفقهم
للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء
آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين
ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتايج
العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من
قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طايل ولا محصول ان لم يتحقق
الاحاطة بما يدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا ان
كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته
واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بناء الايمان على
هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول
الركن الاول في معرفة ذات الله ومداره على عشرة اصول وهي العلم
بوجود الله وقدمه وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا
بجهة

ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته
ويشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث**
في افعاله تعالى ومداره على عشرة اصول وهي ان افعال العباد مخلوقة
لله وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف
ما لا يطاق وله ايلام البري وانه لا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع
وان بعثة الانبياء جايز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة موئدة
بالمعجزات **الركن الرابع** في السمعيات وهو اثبات الحشر وعذاب القبر وسوال
منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة **فالركن الاول**
من اركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول
الاصل الاول معرفة وجوده تعالى واولى ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طرق
الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا
وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات
الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لايات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم
يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه
ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
فليس يخفى على من معه ادنى مسكة اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الايات
وادار نظره على عجايب خلق الارض والسموات وبدايع فطرة الحيوان والنبات
ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه

والاختراع ه

والنشر ه

ومداره على عشرة اصول ايضا ه

ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة
بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض
ولهذا بعث الانبياء كلهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا
ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا
نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذن في فطرة الانسان
وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء
بالعلماء النظار **نقول** من بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه
عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذن لا يستغني في حدوثه عن سبب اما
قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث
فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديره تقديمه وتاخيره فاختصاصه بوقته
دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى مخصص واما قولنا العالم حادث
فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان
وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلث دعاوى
الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة
والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا
ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا **والثانية** قولنا
انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك
مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز
حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث
لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي
بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس **والثالثة** قولنا ما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث
لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا ينتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر

معرفة ه

شبابهم ه

9

في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية
لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا
جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا
ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر
وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا
بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر
يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها
فحصل من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذن حادث واذا ثبت
حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة **الاصل الثاني**
العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول بل هو اول كل شيء
وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو
ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل الى غير نهاية وما تسلسل
لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي
سميناه صانع العالم وباريه ومحدثه ومبديه **الاصل الثالث**
العلم بانه مع كونه ازليا ابدي اي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن
والظاهر لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان
لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شيء
يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء بنفسه وكما يحتاج طريان
الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم
بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود
معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده
في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ
ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم
في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون من القطع
والقديم اقوى من الحادث **الاصل الرابع** العلم بانه ليس بجوهر

٨٥

متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز
فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا
يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو
حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان
سماه مسمي جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا من حيث اللفظ لا من
حيث المعنى **الاصل الخامس** العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر
اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا
بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر
فيستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة و
المقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان
يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر
على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف عن الجواهر كان ذلك غلطا
في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم **الاصل السادس** العلم بانه تعالى
ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو
حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في
الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم
قادر مريد خالق كما سياتي وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل
الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود
قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض و
اجسام فاذن لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء
وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر المصور مقدره ومصوره والاجسام
والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته
الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات
فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين او شمال او قدام او خلف وهذه الجهات
هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على

الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي
جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منتكسة
تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا
وخلق للانسان اليدين احداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث
اسم اليمين للاقوى والشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا و
الاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم
القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة
بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة
لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة حادثة
او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم تحته وتعالى عن ان يكون له
تحت اذ تعالى عن ان يكون له راس والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل
ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه بجهة انه مختص بحيز اختصاص
الجواهر او مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا
وعرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين
كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان
محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير
يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السوال
الى جهة السماء فهو لانها قبلة للدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف
للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء
فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء **الاصل الثامن**
العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراد الله تعالى بالاستواء
وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو
الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى
السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر
قد استوى بشر على العراق ** من غير سيف ودم مهراق

بالعظمة وهو الاستعلاء

٨٦

واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله
وهو معكم اينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله
عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر
وحمل قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف
والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك
على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله
او اكبر او اصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال **الاصل
التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن
الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة لقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تعالى
لا تدركه الابصار ولقوله تعالى في خطاب موسى صلوات الله عليه لن تراني وليت
شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى وكيف سال
موسى الروية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة
الاغبياء اولى من الجهل بالانبياء واما وجه اجراء آية الروية على
الظاهر انه غير مود الى المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم
واوضح من العلم واذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق
الروية به وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه
الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى
كذلك من غير كيفية وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله واحد لا شريك
له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع
لا مثل له فيساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه
قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما لو كانا اثنين واراد
احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني
مقهورا عاجزا فلم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته
كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا

لو ترك ح

لا حاطة ح
لا اقتدار

الركن الثاني

العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقلاء منخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل

الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات محيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية والتعريف

الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حيوته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في حيوة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات

الاصل الرابع العلم بكونه تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدي المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده

الاصل الخامس العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه

صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اسنى واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته او كيف يستقيم حجة ابرهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما

الاصل السادس انه تعالى متكلم بكلام وهو وصف قايم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قايلهم شعر ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون وجسم ولا قدر وكمية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة

ومحفوظا في مقدار ذرة من القلب ومرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق

الاصل السابع ان الكلام القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا يعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا

~~بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك~~

بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله اخلع نعليك بذات الله ومصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم

الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تعالى

الاصل التاسع ان الارادة قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث

الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان تحدث ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة

الاصل العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والعالم والمعلوم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاوصاف

الركن الثالث

العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله الله خالق كل شيء وفي قوله والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل بالعلم على الخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب

فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار السموات **الاصل الثاني** ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمت باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها **الاصل الثالث** ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وبارادته ومشيئته ومنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس

هديها

ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى صح انها مرادة له **فان قيل** فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد **قلنا** الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يأمر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال **الاصل الرابع** ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يؤدي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله

يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب **الاصل الخامس** انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده **الاصل السادس** ان لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة **فان قيل** ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله **فنقول** من زعم انه يجب على الله احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذ خرج عن المعاني المذكورة للواجب **الاصل السابع** انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسألة نعرضها عليهم وهو ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على

الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبى فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته علي فيقول الله تبارك وتعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبى هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى فيقولون اما علمت انا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبى فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن ان يوزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به آفة ورزية وكل ذلك على الله محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله وطاعته واجبة بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو

نعم

اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المال الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تميز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر **فان قيل** فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي النظر والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول **قلنا** هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفوا صدقي بالالتفات الى معجزتي والا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في الاستقبال والطبع يستحث على الحذر من الضرار ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقدير الواجب ولولا

خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فايدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن اياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القران فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القران ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه في الاستقبال كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع** في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها

اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول **الاصل الثاني** سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وكان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والروية لم يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع** الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال اوزانا بحسب درجات الاعمال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب **الاصل الخامس** الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراوه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون **الاصل السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم

على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يودي الى اضطراب امر الامامة في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن معاوية ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالايمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء على جميعهم اخبار وانما يدرك المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال دقايق التفضيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا تاخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع** ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة

فهذه الاركان الاربعة الجامعة للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن
اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا لرهط البدعة والله تعالى
يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده.

الفصل الرابع من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه مسايل ثلث

مسئلة اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل
يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان
لا يتواصلان وقيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب
المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح
بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له **فنقول** في هذا ثلثة مباحث
بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع
وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري
والثالث فقهي شرعي **البحث الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام
عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء
والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما
التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو
تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة
والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص فكان
الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل
تسليم تصديقا **البحث الثاني** عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد
ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف
وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت
واحد وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله
عليه وسلم

التصريح بالسلام

بني الاسلام على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما
الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط
وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام
لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد
الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال
الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد
انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول
الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه سعد فاعاد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ايضا انه قيل له اي الاعمال افضل فقال
الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف
وعلى التداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الايمان عمل من الاعمال وهو
افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح وافضلها
الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف
وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق
التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق
بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا
موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس
من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من
لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق
اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان
وعلى هذا الوجه جرى قوله قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او
مسلم لانه فضل احدهما على الاخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين
واما التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن
التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام
وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل

المطابقة اي موافق كردن

وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج
قوله الايمان في جواب من سأل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا
من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل
الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان
ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه
وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته
وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح
فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد
عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث
الثالث** عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي اما
الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان
هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قايل يقول انه
مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قايل
يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه
الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة **الدرجة الثانية** ان يوجد اثنان
وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة
او بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في
الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا
باطل كما سنذكره **الدرجة الثالثة** ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة
باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي
العمل من الايمان لا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض
غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل
وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه
ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر احد

ثمرة

بما

الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكباير
والقايل بهذا قايل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد
بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقول نعم وفيه حكم بوجود
الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة
فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة
وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي
ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات
التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا
لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا **الدرجة الرابعة** ان يوجد
التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل
نقول مات مؤمنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام
الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف
يخلد ولم يشترط في حديث جبريل للايمان الا التصديق بالله وملايكته واليوم
الاخر كما سبق **الدرجة الخامسة** ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة
النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه
عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان
هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان
موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر اذ
لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب
كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون القول ركن
اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء

شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا في هذا طايفة المرجية فقالوا
هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار و
سنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد
رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الاخرة من
الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالايمة
والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله
بلسانه الا وهو منطوٍ عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي
فيما بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق
بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة موت
القريب والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة
ثم صدق فهل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال
احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال ايناط
بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه
بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه
اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من
المنافقين وعمر كان يراعي ذلك منه ولا يحضر اذا لم يحضر حذيفة
والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن
الحرام ايضا من جملة ما يجب لله كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا
ان الارث حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل
الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ
والعمومات والاقيسة ولا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب
فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب
فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان قلت
فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات
القران اما المرجية فقالوا لا يدخل المومن النار وان اتى بكل
المعاصي

لقوله تعالى فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وقوله تعالى
والذين امنوا بالله ورسله اوليك هم الصديقون ولقوله تعالى كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا
ما نزل الله من شي ان انتم الا في ضلال كبير وقوله تعالى كلما القي عام فينبغي
ان يكون كل من القي فيها مكذبا ولقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى من جا بالحسنة فله
خير منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان راس الحسنات ولقوله
عز وجل والله يحب المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا
ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان بهذه الايات اريد به الايمان
مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة
بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة
العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فالاستثنا بالمشية يدل على
الانقسام وقوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله عز وجل الا ان الظالمين في عذاب مقيم
وقال ومن جا بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في
معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين
لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله تعالى وان منكم
الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن عن
ذنب يرتكبه وقوله لا يصليها الا الاشقى الذي اراد به من جماعة مخصوصين
او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تعالى كلما القي فيها فوج اي فوج
من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الاية وقع للاشعري ولطايفة
من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان
يرد قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا

وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقوله تعالى وان منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل اية ذكر العمل الصالح مقرونا
فيها بالايمان وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وهذه العمومات
ايضا مخصوصة بدليل قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فينبغي ان تبقى له
مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم يخرج
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله تعالى ان الله لا يضيع
اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة
وقوله عز وجل ومن يقتل مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا
السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل
وقد اشتهر من السلف قولهم الايمان قول وعقد وعمل فما معناه قلنا
لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان
من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه
بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلوة
وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود
الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها اعلى من
بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابة
رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج من الايمان بالزنا ولكن
معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف
هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو ورا حقيقة الانسانية مسئلة
فان قلت اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص
بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان
فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق
وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزا الايمان واركان
وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشي

لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته
وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب
والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله
بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد
وينقص وهو خصلة واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من
يشغب وكشفنا الغطا ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة اوجه
الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير
كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا
الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي
كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته
في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ
ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه
غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود
في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نما هذا التصميم وزيادته كما يوثر
سقي الما في نما الاشجار ولذلك قال الله تعالى فزادتهم ايمانا وقال ليزدادوا
ايمانا وقال ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما روي في بعض
الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه
الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور
القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقايد الايمان
في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصا على من يريد حله بالتشكيك
بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه
وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك
معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع
عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال

الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي هذا في
ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال
بالعقائد والقلوب فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك
عالم الشهادة المدرك بالحواس وأعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور
البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك
ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس
اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه
الأجسام المحسوسة ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما
عبر عنه وأنشد ارتجالاً هذين البيتين

رق الزجاج ورقت الخمر ۞ فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ۞ وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا اعترض خارجاً عن علم المعاملة ولكن بين العلمين
أيضاً اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على
علوم المعاملة إلى أن يكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة
بموجب هذا الإطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه إن الإيمان ليبدو لمعة
بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله
وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت
حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون **الإطلاق الثاني** أن يراد به التصديق والعمل
جميعاً كما قال الإيمان بضع وسبعون باباً وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن
حين يزني وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه
وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا
إلى أنه مؤثر فيه **الإطلاق الثالث** أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل
الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام
عن قبول الزيادة ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة
النفس إليه

فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من واحد كطمأنينتها إلى أن العالم
مصنوع حادث وإن كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في
درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليه وقد تعرضنا لهذا في فصل
اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد
ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف لا
وفي الأخبار أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفي بعض المواضع
في خبر آخر مثقال دينار فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب
لا يتفاوت **مسألة** فإن قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء
الله والاستثناء شك والشك في الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب
بالإيمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله
فهو من الكاذبين ومن قال أنا مؤمن حقاً فهو بدعة فكيف يكون كاذباً وهو يعلم
أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمناً في نفسه كان مؤمناً عند الله عز وجل كما أن من
كان طويلاً أو سخياً في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسروراً
أو حزيناً أو سميعاً أو بصيراً ولو قيل للإنسان هل أنت حيوان لم يحسن
أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن يقول آمنا وبين أن يقول
أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له لم تستثني يا أبا سعيد
في الإيمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله تعالى كذبت يا حسن فتحق
علي الكلمة وكان يقول ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض
ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملاً فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم
إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الإيمان
وسؤالك إياي بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت فقال أرجو إن شاء الله
وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند
الله فما معنى هذه الاستثناءات **فالجواب** أن هذا الاستثناء صحيح
وله أربعة أوجه وجهان لا يستندان إلى شك ووجهان يستندان إلى شك لا في

أصل الإيمان ولكن في خاتمته أو كماله **الوجه الأول** الذي لا يستند إلى الشك الاحتراز
من الجزم خيفة مما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال
ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب
وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الإنسان على نفسه والإيمان من
أعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها
نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر
فيقول نعم إن شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن لإخراج النفس عن التزكية
فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف
للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو سئل عن صفة ذم
لم يحسن الاستثناء **الوجه الثاني** التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة
الأمور كلها إلى مشيئة الله تعالى فقد أدب الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن
لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه
بل قال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين وكان الله عالماً
بأنه يدخل لا محالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً حتى
قال لما دخل المقابر السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله
بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله
وربط الأمور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال
عبارة عن إظهار الرغبة والتمني فإذا قيل لك إن فلاناً يموت سريعاً فتقول
إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك وإذا قيل لك فلان سيزول مرضه
ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى
التشكيك إلى معنى الرغبة فكذلك العدول إلى معنى التأدب بذكر الله كيف
كان الأمر **الوجه الثالث** ومستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقاً
إن شاء الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقاً
فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لا في أصله وكل

إذ قال الله

إنسان شاك في كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الإيمان حق من
وجهين **أحدهما** من حيث أن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق
البراءة منه **والثاني** أن يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال
أما العمل فقال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا
الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين
وصفاً كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال أولئك الذين صدقوا
وقد قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات
وقال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل وقال هم درجات
عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان عريان ولباسه التقوى الحديث
وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى
عن الطريق فهذا يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة
عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق
خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد
أخلف وإذا اؤتمن خان وإذا خاصم فجر وفي بعض الروايات وإذا عاهد
غدر وفي حديث أبي سعيد الخدري القلوب أربعة قلب أجرد وفيه
سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان
فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها
القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلبت عليه
ذهبت به وقال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وفي
حديث الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان
الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقاً
إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء
أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء منه وقال حذيفة المنافقون
اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ ذاك يخفونه وهم
اليوم

يظهر وهذا النفاق مضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الاخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن من النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثناء عليه فبينا هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم اظهروا الى سفعته خير من بينه السفعة علامة من سواد والاسفع الذي اصابه خده علامة سوداء وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال

وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقايق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي الى النار مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء فيه واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله سبحانه والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سئل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت صحته موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل اخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة

والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في قوله عز وجل وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول غايب عنه لا يطلع عليه الا الله فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسنة للاستثناء في الجواب عن الايمان وهي اخر ما نختم به كتاب قواعد العقايد والله اعلم والموفق للصواب

تم كتاب قواعد العقايد

كتاب أسرار الطهارة

وهو الكتاب الثالث من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرايرهم انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة اما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصاير بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السراير اذ يبعد ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاءه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذايل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك قال تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذايل

المذمومة وتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني
فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي
احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل
مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالصفات المحمودة
من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل
الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته
فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته
عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي
هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي
مجاريها ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل
ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم
جميع الهم والوكد في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضه
مع علو منصبه توضأ بماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون
اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم
وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في
المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب
حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في
الاستنجاء قال ابو هريرة رضه وغيره من اهل الصفة رضي الله عنهم كنا ناكل
الشوا فتقام الصلوة فندخل اصابعنا في الحصبا ثم نفركها بالتراب
ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر
مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة

المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن
حتى قال بعضهم الصلوة مع النعلين افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزع نعليه في صلوته اذ اخبره جبرئيل ان عليهما نجاسة وخلع الناس
نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون
نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء واخذها منكرا لخلع النعل فهكذا كان
تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها
ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو
يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة
تمرغها في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سوال في دقائق النجاسات
فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الان الى طائفة يسمون الرعونة
نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر كفعل
الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل
والريا والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر
على الاستنجا بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري
المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف
للقدم من ادم او توضأ من انية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا
عليه القيامة وشددوا عليه النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من
زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من
الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا
والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه
فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيآتهم
ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول
فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكلف في التنظف باعداد الاواني والالات
واستعمال غلاف القدم والازار المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه
الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد

يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات
فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه
وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما
مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين وتفسير قوله صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين
وان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم
فان ذلك هو الرياء المحذور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما
كونه معروفا فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر
على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلوة عن اوائل الاوقات ولا يشتغل
به عن عمل هو افضل منه او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن به شيء
من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا
للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا
بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان الاشتغال بالطهارات
يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا باس به اذا لم يخرج الى منكر
واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم
اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي
هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من
ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك
النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة رضي الله عنهم
اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ لذلك الا لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي
لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان
يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة و
توهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء
المدبوغة ولم يعلم منهم فرق بين المدبوغة والمقصورة في الطهارة والنجاسة
بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط

الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان
الثوري رح لرفيق له كان يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل
ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف
فالناظر اليه معين له على الاسراف وكانوا يحذرون جمام الذهن لاستنباط
مثل هذه الدقائق في احتمالات النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى
له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك
العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه
فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها واذا
قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم
اشرف من ان يصرف الى مثله فينبغي محفوظا عليه واشرف وقت العامي
ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره
من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق
الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في امور
الدنيا بحذافيرها واذ عرفت هذه المقدمة واستبنت ان الطهارة لها
اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الاولى وهي
نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر
فنقول طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث و
طهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة
والختان وغيره **القسم الاول** في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال و
المزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال وهي النجاسات والاعيان ثلثة
جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات **اما الجمادات** فطاهرة كلها الا الخمر و
كل منتبذ مسكر **والحيوانات** طاهرة كلها الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا
ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناها
كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء
وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شيء فيه منها **واما اجزاء الحيوانات** فقسمان

٤ الاستحداد [illegible] وحلق شعر العانة

الثاني
بنجس
لغيرها ما يتقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم
الرطوبات الخارجة من باطنه وكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع
والعرق واللعاب والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فهو نجس الا ما هو مادة الحيوان
كالمني والبيض واطلق القيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات لا يعفى عن هذه
النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار
يعفى عنه ما لم يعد المخرج الثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى
عنه مع تيقن النجاسة بقدرها يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب الملطخ
الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطرق
عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا
اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبه او في ثوب غيره فلبسه الخامس دم
البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد دلك ابن عمر بثره على وجهه وخرج منه
الدم وصلى ولم يغسل ويقع معها في الحاجات الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد
الا ما يقع نادرا من جراح او غيره فيلتحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي
لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات لعسر تحرزك ان امر
الطهارات على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني
المزال به وهو اما جامد او مايع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف
بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات فلا تزال النجاسة
بشيء منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يفحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه
ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم
يتغير وكان قريبا من القلتين ما يقرب خمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم
ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونهما صار
نجسا عند الشافعي رحمه الله هذا في الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية
المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة
الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر
عن قلتين واذا كان جرى الماء اقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما انحدر

الاستنجاء بسنگ استنجا کردن ۴ تر از مصادر

وما يتبع

الماضي

103

عنها فنجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع
قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي رح وكنت اود
ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة
ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري
سبب المشقة ويعرفه من يجرب به ويتأمله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا
لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر بهما المياه الجارية
ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر
الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات
وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات
وقد توضأ عمر رض بماء في جرة نصرانية وهذا كالصريح في انه لم يعول الا على عدم
تغير الماء والا فنجاسة النصرانية واناها غالبة يعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا
المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر رض دليل ثاني و
الدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم
الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير
فيها وكانت لا تنزل في الابار والرابع ان الشافعي رح نص على ان غسالة النجاسة
طاهرة اذا لم تتغير نجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود
عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القايل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع
ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا
ماسة الى هذا ولا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس
في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم
كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رح
انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق
بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء
بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أيجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا
فان لم يجر فما الفرق وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء

اجانه تغار يعني كرسان ۴ در سبو الاجانات ۴ والاجانة جاعه ۴ مهذب

من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذ قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلا أن يجمع في مستنقع قلتان فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من الجوار. **السادس** أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوال المانع مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها. **السابع** أن الحمامات لم تزل في الأعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أو ريحه. وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جنسه فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصف بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا هو المعيار وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة فهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر معنى كونه طهورا إذ يغلب على غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي إصغاء الإناء للهرة ولا تظن أن ذلك عفو إذ لو كان كذلك لكان كالاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل. وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يحمل خبثا فهو في نفسه

مبهم فإنه يحمل إذا تغير فإن قيل أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب إلى صفته وذلك لأن الناس يستنجون في أطراف المياه القليلة في الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات. **فإن قيل** فقد قال خبثا ومهما كثرت حملها. قلنا فهذا ينقلب عليكم فإنها مهما كثرت حملها أيضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات إلى المساهلة فيها من سجية الأولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل.

الطرف الثالث

في كيفية الإزالة فالنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي إجراء الماء على جميع مواردها وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة تعسر إزالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها النجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباطات إلى تقدير النجاسات.

القسم الثاني

طهارة الأحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة.

آداب قضاء الحاجة

فينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين

الحت سا... وحت الورق من الغصن والمني من الثوب ونحوه ومنه الحديث حتيه ... بعض ... من حت الشيء ... قشره وحكه ... في الصحاح

في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع
الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب وان يستتر في الصحراء
براحلته جاز وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في
الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحرة وان يتقي الموضع الصلب
ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل
اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج
ولا يبول قائما قالت عائشة رضي الله عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما
فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه رآني صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال يا عمر
لا تبل قائما وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم بال قائما
فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال صلى الله عليه وسلم
عامة الوسواس منه قال ابن المبارك رحمه الله ان كان الماء جاريا فلا بأس ولا يستصحب
شيئا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وان يقول عند الدخول
بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد
لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل قبل الجلوس
وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا
وامرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه
الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش
الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم
فعله اعني رش الماء وقد كان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسوسة فيه على قلة
الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم
ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب
وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد
الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل
اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء ههنا ان يستوفز على صدور
قدميه

التبرز بالفتح والتنحنح ... الاستخراج والنثر ... والمدر جمع مدرة وهي ما اثار لبنة من مدر او حجر

١٠٥

والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان قريبا من
صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه
ليبين للناس

كيفية الاستنجاء

ويستنجي لمقعدته بثلثة
احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعة فان انقى استعمل خامسة
لان الايتار مستحب قال صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره
ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمدها بالمسح والادارة
الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة كذلك ويمدها الى
المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت
الادارة ومسح من المقدمة او المؤخرة اجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا
بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار
فيمسح ثلاثا في ثلث مواضع او في ثلثة احجار او في ثلثة مواضع من جدار
الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة
ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحبت
الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي
بالماء بان يفيضه باليمين على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر
تدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان
ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم
النجاسات للفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له
حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس
وان يقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن
فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة
ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر

كيفية الوضوء

اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير

رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدي بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يزل يامرنا صلى الله عليه وسلم بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم **وكيفيته** ان يستاك بخشب الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك طولا وعرضا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلوة و عند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم وطول الازم او اكل ما يكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلوة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا ويغرغر بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم غرفة لانفه فيستنشق ثلثا ويصعد الماء بالتنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق

اللهم اوجدني رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتداء تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان على طرفي الجبين فانهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن و الطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها خفيفة في الغالب والعذاران ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجمع الكحل وينقيهما فقد روي انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية عند غسل الوجه وهو مستحب ثم يغسل يديه الى المرفقين ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق روس اصابع اليمنى باليسرى ويضعها على مقدمة الراس ويمدها الى القفا ثم يردها الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول

اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك
ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه
ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا
ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي
الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة امان من الغل
ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله
اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر
من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط
يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط في النار
يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه
الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي
وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني
من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة
واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش
فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة ويكره في الوضوء امور
ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضا صلى الله عليه وسلم ثلاثا وقال من زاد رسول الله
فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور
ويقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور قال ابراهيم ابن ادهم
يقال اول ما ابتداء الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا
يضحك من الناس في الوضوء يقال له الولهان وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم
وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا ماء الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب
والزهري ولكن روى معاذ انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت
عائشة رضي الله عنها انه كان له منشفة ولكن طعن في الرواية عن عائشة رض
وان ينفض اليد فيرش الماء وان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالماء المشمس وذلك
من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة اناء الصفر وقال بعضهم اخرجت

لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا منه ونقل كراهة ذلك من ابن عمر رض ومهما
فرغ من وضوئه واقبل على الصلوة ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع
نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موضع
نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة
اولى وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه
مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما
اجدره بالتعرض للبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم
من ذنبه وقال الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلوة
بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضا صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا
وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين
اتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء
خليل الرحمن ابراهيم عليه السلم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله
جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال صلى الله عليه
وسلم من توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم
الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم
اذا توضا العبد المسلم فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا
من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه
فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا
مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه
خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى
المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال صلى الله عليه وسلم
من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله

وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل
من ايها شاء وقال عمر رض ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال
مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح
تبعث على ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء عن يمينه
ثم يسمي الله تعالى ويغسل يده ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على
بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضا وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل
قدميه فانه يوخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء
ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم على راسه ثلثا
ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس واللحية ويوصل الماء الى
منابت ما كثف منه او خف وليس على المراة نقض الضفائر الا اذا علمت
ان الماء لا يصل الى خلل الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس
ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء واذا توضا قبل الغسل
فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا
بد لسالك طريق الاخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل يحتاج اليها
في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه
في الغسل امران النية واستيعاب البدن بالغسل ومن الوضوء النية
وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس
وغسل الرجلين الى الكعبين مع الترتيب اما الموالاة فليست واجبة
والاغسال الواجبة اربعة الغسل لخروج المني والتقاء الختانين والحيض
والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام
والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلثة اغسال ايام التشريق
ولطواف الوداع على قول وللكافر اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا
افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم**
من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب او بمانع له عن الوصول اليه
من سبع وحابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش رفيقه

او كان ملكا لغيره ولم يبع الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او
مرض وخاف من استعماله فساد العضو او شدة او شدة الضنى
فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا
عليه تراب خالص طاهر لين بحيث يثور منه غبار فيضرب عليه
كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده
استباحة الصلوة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور
خفت او كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك
بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي
في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج
فيها بين اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده
اليسرى بحيث لا تجاوز اطراف الانامل من احدى اليدين عرض المسبحة
من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى
الى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى
الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ويفعل باليد
اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكلف
تحصيل الاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك
فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان
يتنفل كيف شاء فان جمع بين الفرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية
وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله اعلم **القسم الثالث** من النظافة
التنظف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء **النوع
الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية **الاول** ما يجتمع في شعر
الراس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل
والتدهين ازالة للتشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر
ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها
اي ليصنها عن الاوساخ ودخل رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال

الخمس

اما كان يجد هذا دهنا يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان **الثاني**
ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في
قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما
يضر بالسمع **الثالث** ما يجتمع داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة
بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار **الرابع** ما يجتمع على الاسنان
واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما **الخامس**
ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل
والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه المشط
والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه صلى الله عليه وسلم
كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك
كان ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض
اللحية وقد ملات ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عايشة
رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرايته يطلع
في الجب يسوي من راسه ولحيته فقلت اوتفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم
ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن ان
ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملايكة بالحدادين
وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم ماموراً بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى
في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في اعينهم
كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم
وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله وهو ان يراعي
من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية
فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد
محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس
محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد
وبين الله والناقد بصير والتلبيس غير رايج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى
هذه الامور

لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان
او محمودان **فاعلم** ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي
ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة
مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات
الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات
تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين
ولم يكن شيء منه مالوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية
من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن
مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا
فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل
صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع
اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في
الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة
اجزاء الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من
يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين
لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان
الصبي عن شاطي النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان
حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع
ان القوي لا يندب الى مخالطتهم **والثاني** المنطق وهو بحث
عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان
في علم الكلام **والثالث** الالهيات وهو بحث عن ذات الله
وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها
بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها
بدعة كما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طايفة من المتكلمين
واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك
الفلسفة

الرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيه وهو من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة واما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان

بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلوة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوف من الصحابة وكلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن منهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغ بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كلام الله

وهجره وامر الناس بهجرته واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله تعالى في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة يتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به القرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك لتكون يوم القيامة في حزب علماء الله او عمال الله او في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما هذا اهم لك من التقليد لمجرد الاشتهار

شعر

خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به

في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تعالى وقد شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات

الشفاعة الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير وترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى الله به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر يوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر

السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون الغبار وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم به العرب وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة كل اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبرئيل عليه السلم قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى ولا تقل لهما اف اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام فقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك لفائدته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده

ويمنع الدلاك من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس
ما ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس
السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني الفخذ
والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها
لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط
عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه
فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله
اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو
قلب عن التأثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي
وذلك يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل
هذا صار الحزم ترك الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة
لا سيما ما تحت السرة الى فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد
الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا استحب تخلية الحمام
قال بشر بن الحارث ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلى له الحمام
ورؤي ابن عمر في الحمام ووجهه الى الجدار وقد عصب عينيه بعصابة
وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس
يتقنع به ويحفظ عينيه **واما السنن فعشرة الاول** النية
وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لاجل هوى بل يقصد به
التنظف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول
فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره فتسليم الاجرة دفع للجهالة
من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه
وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطون للعورات فالنظر
الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتامل في

112

العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف
في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب
ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول
البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على
قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي
لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار
بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه
الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ
بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره
ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة
فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا
معمورة واذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها
والحائك ينظر الى الثياب يتامل نسجها والنجار الى السقف يتامل
كيفية تركيبه والبناء الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها
فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الاشياء الا ما يكون له موعظة من
الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى
سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر افاعي جهنم وان نظر
الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا
تذكر به نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع
كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب
من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل
اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى
مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت
بصيرته **ومن السنن** ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب
بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره فان احب قال عافاك الله

ولا باس ان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء السلام ثم لا يكثر
الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة
من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب
فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل
عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه
وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح
بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد
اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت
بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار
في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي
احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام
بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي
المرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في
الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام امان
من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند الخروج وكذا شربه
هذا حكم الرجال اما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل
ان يدخل حليلته الحمام وفي بيته مستحم والمشهور حرام على الرجال
دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام الا نفساء او
مريضة ودخلت عائشة حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل
الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا
لها على المكروه **النوع الثاني** فيما يحدث من البدن من الاجزاء وهي ثمانية
الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بتركه لمن يدهن
ويرجل الا اذا تركه قزعا اي قطعا فهي دأب اهل الشطارة او ارسل
الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن

113

شريفا كان ذلك تلبيسا **الثاني** شعر الشارب وقد قال صلى الله عليه وسلم
قصوا الشوارب وفي لفظ جزوا الشوارب وفي لفظ حفوا الشوارب
واعفوا اللحى اي اجعلوها حفاف الشفة اي حولها وحفاف الشيء حوله
ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا
وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى
ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقص عليكم واما الحلق فلم يرد
والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى
رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي
فقال تعال فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب
فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ
لا يصل اليه فقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون
شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة
الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما مرة وذلك
سهل على من تعوده في الابتداء نتفه فاما من تعود الحلق فيكفيه الحلق
اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ
في خللها ويحصل ذلك بالحلق **الرابع** شعر العانة ويستحب ذلك اما
بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتأخر عن اربعين يوما **الخامس**
الاظفار وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها
من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اقلم اظفارك فان
الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك
صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة
لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور
الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يامرهم
بالقلم وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات

110

ولو اهم به لكان فيه تقليل أخرى وهو المغلظ والزجر عن ذلك ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بإبهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الإبهام وفي اليمنى من المسبحة إلى الخنصر والختم بإبهام اليمنى ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل إليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله أنه لا بد من قلم أظفار الرجل واليد واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع ثم بعدها ينبغي أن يبتدئ بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين وإن وضعت ظهر اليد على الأرض فالإبهام هي اليمين وإن وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلا إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فيقع الابتداء بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى إبهام اليمنى وإنما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى يصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقديره بوضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيه نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فإن المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمين فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه

لا تتجه ح

الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة وإنما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم يخطر لنا وإذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما يتيسر لنا بإعانته صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن أن أفعاله صلى الله عليه وسلم في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردد الفاعل فيها بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم فإن الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الإهمال وتركه سدى أبعد كان قربه إلى رتبة الأولياء والأنبياء أكثر فكان قربه من الله أظهر إذ القريب من النبي صلى الله عليه وسلم وهو قريب من الله لا بد وأن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدايته باليمين لشرفه وتفاوته بين العينين ليكون الجملة وترا فإن للوتر فضلا على الزوج فإن الله وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من أوصاف الرب ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار وإنما لم يقتصر على الثلاثة وهو وتر في الاكتحال لأن اليسرى لا يخصها إلا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وإنما خص اليمنى لأن التفضيل لا بد منه للإيتار واليمنى أفضل فهي بالزيادة أحق فإن قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فلماذا فاعلم أنه ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا إذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد

كيف ح

الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لإظهار علو السن توصلا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشبان وإظهارا لكثرة العلم ظنا بأن كثرة الأيام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كان غريزته الحمق فطول المدة تؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله عبدا علما إلا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وقوله إنهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان أنس رضي الله عنه يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل أو شين هو فقال كلكم يكرهه ويقال إن يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروي عن مالك أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء إذا رأيت طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنا منك وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن للشيخ أن يتعلم من الصغير قال إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا أبا عبد الله تترك حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر

تمشي ح

إن علم سفيان إن فاتني بعلو أدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فإن اللحية زينة الرجال فإن لله ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال أصحاب الأحنف وددنا أن نشتري للأحنف لحية بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إذا كان للمشتوم لحية وقيل إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى صلوات الله عليهما فإن له لحية إلى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع وقال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحي أو ينتهي إلى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح الثامن تسريحها لأجل الناس وقال بشر في اللحية شركان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد التاسع والعاشر

المنجل ... المناجل جماعة ...

ولذلك نصّا وحدّه وهو أن يكتحل في كل واحد ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل
ذلك في الصحيح وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه صلى الله عليه وسلم
في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم أن العالم لا يكون وارثا
للنبي صلى الله عليه وسلم إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين
النبي صلى الله عليه وسلم إلا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين
الوارث والمورث إذ المورث هو الذي حصّل المال له واشتغل بتحصيله
واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصّل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه
وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة
إلى الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها
تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء. **السادسة
والسابعة** زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع في أول
الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة
ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال
صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء ولا ينبغي أن يبالغ في
خفض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية
أشمّي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه
وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه في الكناية وإلى إشراق نور النبوة
من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف
له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف
ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته
مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين. **الثامنة**
ما طال من اللحية وإنما أخرناها لنلحق بها خصال اللحية من السنن والبدع إذ هذا
أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل إن قبض
الرجل على لحيته وأخذ ما تحت القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة
من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة

وقالوا تركها عافية أحب لقوله صلى الله عليه وسلم أعفوا اللحى والأمر في
هذا قريب إذا لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول
المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنسبة إليه فلا بأس
بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل
اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء
حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية نقص العقل. **فصل** وفي اللحية
عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها
بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها
تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة إظهارا للزهد والنظر إلى سوادها
عجبا بالشباب وإلى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة
من غير نية تشبها بالصالحين. **أما الأول** وهو الخضاب بالسواد فهو
منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر
شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض
الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب أهل النار وفي لفظ آخر
الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه
وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعها أهل المرأة
إلى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست
عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون
بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. **الثاني** الخضاب
بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد
فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال
صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين
وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب
بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه
هوى وشهوة

النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزا البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة وقد حصل من الاحاديث من سنن الجسد اثنا عشر خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب واربعة من الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجا بالما فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخها التي يجب التنظف منها اكثر من ان تحصى وسياتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شا الله تعالى

تم كتاب اسرار الطهارة والحمد لوليه والصلوة على نبيه وآله

كتاب اسرار الصلوة

وهمائها وهو الرابع من كتب احياء علوم الدين

الكتاب الرابع من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه الذي جعل التنزل عن عرش الجلال الى السما الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبريا بترغيب الخلق في السوال والدعا وقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفا الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة

فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليها يفزع ويرجع ونحن الان في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم يجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة ابواب

الباب الاول في فضايل الصلوات

الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة

الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها

الباب الرابع في الامامة والقدوة

الباب الخامس في صلوة الجمعة وادابها

الباب السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى

الباب السابع في التطوعات

الباب الاول

في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان

قال صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع

حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغا وجه الله وام بهم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغا وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاول لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية ايضا كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان اذن واقام صلى وراه امثال الجبال من الملايكة

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جا بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شا عذبه وان شا ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الما الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلوة لم يعبا الله بشي من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن تركها فقد

هدم الدين وسيل اي الاعمال افضل فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه شيا بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب اليه منها تعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة متعمدا فقد برى من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيية فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفيوها

فضيلة اتمام الاركان

قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السما والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم

لا ينظر الله عز وجل يوم القيمة الى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده
وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول
الله وجهه وجه حمار وقال ايضا صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوة
لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها وخضوعها عرجت
وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها
فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي
سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء
الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم
اسوء الناس سرقة من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان
الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى في
المطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال عثمان رفعا من شهد العشاء
فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وروى ابو هريرة رضي
انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان امر
رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم فيحرقوا
عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها
يعني صلوة العشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة
فقد ملى نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ
عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا
الا ثلثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة
وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروى ان ابا عبيدة
بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي انفا
حتى اريت ان لي فضلا على غيري لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا
خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس
بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال

حاتم الاصم فاتتني جماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات
ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس
من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد
خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن ادم رصاصا مذابا
خير له من ان يسمع النداء ثم لم يجبه ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد
فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلوة احب
الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوات
في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق
وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب
الدري فيقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا
الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر طايفة وجوههم كالاقمار فيقولون
بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم يحشر طايفة وجوههم كالشموس
فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان في المسجد وروى ان السلف
كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا
اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقرب العبد الى الله عز وجل بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم
يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة وروى ان
رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مرافقتك في الجنة
وان يجعلني من اهل شفاعتك قال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب
ما يكون العبد الى الله ان يكون ساجدا وهو معنى قوله واسجد واقترب
وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم
من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على
الظاهر وهو الاصح وقيل هو الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر
الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن ادم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي وقال يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت

بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد
في كل يوم الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز
كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب
بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه
وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء
من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد
احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها
اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون
العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك **فضيلة الخشوع**
قال الله تعالى واقم الصلوة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال
تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى
من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه
تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون
وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن
وتواضع وتضرع وتباوس وتنادم وتقنع يديك فتقول اللهم اللهم فمن
لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة انه قال ليس كل
مصل اتقبل صلوته انما اتقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على
واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا
لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما
قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم اذا صليت صلوة فصل صلوة مودع
اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سايرا الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه

وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم تزده
من الله الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد
الله يا ابن ادم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قيل كيف
ذلك قال ان تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك
بغير اذن وكلمته بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا
ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلوة
لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم الخليل صلوات الله عليه
اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا
صلى لم ينقطع الدموع من خديه على لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني الحور
العين فقال بئس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل
لخلف بن ايوب الا يوذيك الذباب في الصلوة فتطردها فقال لا اعود
نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان
الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون
بذلك فانا قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه كان
اذا اراد الصلوة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم ويروى عنه انه
كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس
لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
اذا حضر وقت الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول
جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فابين ان يحملنها واشفقن
منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضا اصفر لونه فيقول له
اهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد اقوم
ويروى عن ابن عباس رضي انه قال قال داود عليه السلم الهي من يسكن بيتك ومن

تقبل الصلوة فاوحى الله الى داود انما اتقبل الصلوة
من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي
يطعم الجايع ويوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره
في السما كالشمس ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل
علما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في
الجنان لا ييبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سيل
عن صلوته فقال اذا جانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي
اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي واجعل
الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك
الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجا والخوف واكبر تكبيرا
بتحقيق واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد
على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها
الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس ركعتان مقتصدتان
في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلوة

قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم
اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال صلى الله عليه وسلم
لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملايكة تصلي
على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث
او يخرج من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم ياتي في آخر الزمان ناس من
امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا
لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ان بيوتي في الارض المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وقال اذا رايتم الرجل

يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد
فانما يجالس ربه فما حقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في الخبر
الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال النخعي
كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب اي للجنة وقال انس بن مالك من اسرج
في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك
المسجد ضوءه وقال علي رضي الله عنه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه
من الارض ومصعد عمله من السما ثم قرا فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا
منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطا
الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت
له يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر
الله عز وجل عليها بصلوة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت
بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا
تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا اصبح ذلك المنزل
يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان
ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها الى القبلة
ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل
وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقران
القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى
الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعى في رجليه عند
القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما راسه فان شاء
تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض
للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى
فليقرب من جدار او ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق

الى المسجد

الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا
القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه
واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق
تحصنا به من الشيطان ثم لياتي بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي
به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه
اودي فريضة الظهر لله ليميزه بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل
وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه
فانه النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك
الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو
منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس
اصابعه رؤس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا
بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما
بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى
فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا التكبير مع ارسالهما واحضار النية
ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما
لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد
ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي ان التكبير مع رفع اليدين
ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق
فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبداه
الارسال واخره الوضع ومبدا التكبير الالف واخره الرا فيليق مراعاة التطابق
بين الفعل والعقد واما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يدفع
يديه الى قدام دفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين
وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستانف وضع
اليمنى على اليسرى بعد الارسال وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان
اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا

فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم الها من قوله الله ضمة
خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الها والالف شبه الواو وذلك
ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين با اكبر والرا الفا كانه يقول
اكبار ويجزم را التكبير ولا يضمه فهذه هيئة التكبير وما معه

القراءة

ثم يبتدي بدعا الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول
سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات
ما في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة
ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد
في الفرق بين الضاد والظا ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين
بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون
ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او قدر ثلث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل
آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا في الصبح
من السور طوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء
نحو والسما ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم
للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلوة

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع
وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في
الركوع واصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه
ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه مستويين مع ظهره كالصفيحة
الواحدة ولا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم
المراة مرفقيها الى جنبيها وان يطمين ويقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة
الى السبعة والعشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع
يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمين في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات

وبالارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة
التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة **السجود**
ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه
مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون
اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما
وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة
ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وان يكون مخويا
ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن من الفخذين والتفريج بين الفخذين
وان يضع يديه على الارض حذاء منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما
ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام فلا باس وان لا يفرش ذراعيه على
الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ويحمل ثلاثا
فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا
ويرفع راسه مكبرا او يجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه
على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي
وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول
هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي
منه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها
ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد
التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه عن القعود الى وسط ارتفاعه الى
القيام بحيث يكون هاء الله عند استوائه جالسا وكاف اكبر عند
اعتماده على اليد للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ
في وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو
عنه الا طرفاه فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد
التعوذ في الابتداء **التشهد** ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد
الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله رضوان الله عليهم ويضع

يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابع اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال
الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله
لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين
وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي
وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه اليسرى
لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة
من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق
عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده
الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة
ثانية وينوي الخروج بالسلام من الصلاة وينوي السلام على من على يمينه من الملائكة
والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية ويجزم السلام فلا يمده مدا
فهو السنة فهذه هيئة صلاة المنفرد **المنهيات** نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما
وعن الاقعاء وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة
وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجائع والمتقطب والغضبان
والتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على
ونصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا ليس
على الارض الا رؤوس اصابع الرجلين والركبتان واما السدل فمذهب
اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد
كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه
فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط
الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه
والاول اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه
اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص
شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء

ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق القميص في
الصلاة ورآه من الكف واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرته واما
الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما
المواصلة فهي خمسة اثنتان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام
ولا ركوعه بقراءته واثنتان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة
الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليم الفرض بالتسليمة
الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط
والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه
الجائع والمهتم وفهم نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء
واقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن
القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين
احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي
الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان
الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث
بالشيء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاة
من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق
من يمر بين يديك ونهي ايضا عن ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه
او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع
وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في
الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصا بيده فانها افعال مستغنى
عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط
فان استند بحيث لو سل لسقط فالاظهر بطلان صلاته **تمييز الفرائض**
والسنن جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيئات والاداب التي ينبغي
ان يراعي مريد طريق الاخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشر النية
وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى ان تنال راحتاه

ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب
وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد
الاخير والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما
نية الخروج فلا يجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات
فيها وفي الفرائض اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام
وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه
من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنة والتورك
والافتراش هيئات تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئات القيام
وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في
الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست
مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرد بذكر واما السنن من الاذكار فدعاء
الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانها سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات
الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول
والصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم
التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة
اذ يجبر من جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو
الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين
الناظرين حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر
في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما
الاذكار فكلها لا يقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول
والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات
واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما
مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات
الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة
للتشهد الاول فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التأثير

وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا
بالفاتحة ومميزا عن العادة به وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت
أبعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لأجله فكان كمد
جلسة الاستراحة إذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الأول فبقي هذا
قياما ممدودا معتادا والمسبوق ذكر واجب في الممدود احترازا عن غير الصبح
وفي خلوه عن ذكر واجب احترازا عن أصل القيام في الصلاة فإن قلت
تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون
السنة ويتوجه العقاب به دونها فأما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور
على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل فما معناه
فاعلم أن اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يدفع تفاوتها
وينكشف لك ذلك بمثال وهو أن الإنسان لا يكون إنسانا موجودا كاملا
إلا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهرة
أجسام أعضائه ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمه كالقلب والكبد
والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت به الحياة ولكن تفوت
به مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت به
الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت به الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب
وحسن اللون وبعضها لا يفوت به أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس
الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض
في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا
باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص
كما سيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام و
سائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة
بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول
تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت
الحياة بفوات هذه الأعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة

مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزي في الصلاة كان
كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الأطراف وأما الهيئات
وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب
وحسن اللون وأما لطائف الآداب في تلك السنن فهي مكملات للحسن
كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة
وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة
من السلاطين إليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض
الأكبر فإليك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها فإن أحسنت فلنفسك
وإن أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك
السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها
فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقء العينين لا يبطل وجود الإنسان
ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه
في معرض الهدية فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب
فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها
تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الأخبار التي أوردناها في إكمال أركان
الصلاة ليظهر لك وقعها

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب
ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها
وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من الصلاة
لتكون صالحة لزاد الآخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى أقم الصلاة لذكري
وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف
يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم
وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل
المستغرق الهم بالوساوس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم إنما الصلاة

تمسكن وتواضع حصر بالألف واللام وكلمة إنما للتحقيق والتوكيد وقد فهم
الفقهاء من قوله صلى الله عليه وسلم إنما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والإثبات
والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد من الله إلا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله
عليه وسلم كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل
وقال أيضا صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل والتحقيق فيه
أن المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة
وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة
شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة
الشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج
أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضرا
مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام
وقعود فأما الذكر فإنه مجاورة ومناجاة مع الله تعالى فإما أن يكون المقصود
منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود الحروف والأصوات امتحانا للسان
بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق
الحج ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك في
أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه
امتحان من حيث إنه عمل بل المقصود الحروف من حيث إنه نطق ولا يكون نطقا
إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معربا إلا بحضور القلب فأي سؤال في قوله
اهدنا الصراط المستقيم إذا كان القلب غافلا إذ لم يقصد كونه تضرعا
ودعاء فأي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا
حكم الأذكار بل أقول لو حلف الإنسان وقال لأشكرن فلانا وأثني عليه وأسأله
حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر
في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره
ولا يراه لا يصير بارا في يمينه إذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن

هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه
في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه
الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا شك في أن المقصود من القراءة
والأذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب
الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه
يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل
القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الإيمان به هذا حكم القراءة والذكر
وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل
وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما
لله بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل
عنه أو يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل وإذا خرج عن كونه تعظيما
لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به
ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم على الحج وسائر
العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة
كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة
فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي
هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى فيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال
الأوامر هي المطلوبة فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها فهذا ما يدل
من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فإن قلت إن حكمت ببطلان
الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت فيه إجماع الفقهاء
فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم
أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة
بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف
لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من
حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه

لبو طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي
عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن
معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة
له وروي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب
له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته ما عقل منها وهذا لو نقل
من غيره صلى الله عليه وسلم لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد
بن زيد اجتمعت العلماء انه ليس للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما
نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى
والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط
الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن
ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل
البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان
يشترط فيه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به
لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون
حال الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم
على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا
صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره
ومع هذا الرجا فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر
الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي
يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب الخوف والرجا وصار الامر مخطرا
في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع
في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى
كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن
قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان
قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع

فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة
واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام
ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور
عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح
في اجزاء الصلوة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل
في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حيوة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن
يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء
والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التفاصيل
فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له
ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا
في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو
فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم
لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ
ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ واشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ
هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت فيه الناس اذ ليس يشترك
الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات فكم من معان لطيفة
يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا
الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك
الامور تمنع من الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء
حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر
القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما
واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه
التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق
العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف

من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال
واما الرجا فلا شك انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك
يهابه او يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي ان يكون راجيا
بصلوته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحيا
فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب
ويتصور التعظيم والخوف والرجا من غير حيا حيث لا يكون توهم تقصير
وارتكاب ذنب **واما اسباب هذه المعاني** الستة فاعلم ان حضور
القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك
امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر
في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور
الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة
لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان
والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف
هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب
في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر
ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك
الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا
سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى
في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر
وصرف الذهن الى ادراك المعنى **وعلاجه** ما هو علاج احضار القلب
مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة
قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم
ينقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب
يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا يصفو
له صلوة عن الخواطر واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين

احديهما معرفة جلال الله تعالى وعظمته وهي من اصول الايمان فان من
لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه **الثانية** معرفة حقارة النفس
وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة
والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة
النفس بمعرفة جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني
عن غيره الآمن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون
الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها
لم يقترن اليه واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة
بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين
والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء
من المصايب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من
ملوك الارض وبالجملة فكلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتي
اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه
معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده
الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من
مجموعهما الرجاء لا محالة واما الحيا فباستشعاره التقصير في العبادة
وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس
وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع
افعالها مع العلم بعظم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السرائر
وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا
انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء **فهذه** اسباب هذه الصفات
وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج
ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي ذكرناها
ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان
اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها

كان النبي عليه الصلوة والسلام يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحى اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمع الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها انقسم الناس الى غافل يتمم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وكان بعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه بمهمه ويخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب يصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المؤمن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا له وراجيا ومستحييا من

تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرا في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال صلى الله عليه وآله لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك خمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء

في القوة

يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما شغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه وامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى نزع بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده صلى الله عليه وسلم خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل آخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي

جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوساوس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملو بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء

هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على
هذا النداء فان وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة
الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها
اذ كان قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك
وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بدنك وهو
قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد
له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك
في المستقبل وطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة
فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك
موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضائح سرك الذي
لا يطلع عليه الا ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها
وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما تكفرها الندم والحياء
والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء
من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم
بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه
ناكسا راسه من الحياء والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر
وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف
القلب من سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن
وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي
على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها
استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع
وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف
عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سوى الله

وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه
وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فهو
مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو
ارفع اعضائك مطرقا متطاطيا متنكسا وليكن وضع الراس
عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري
من الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي
الله في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم
بين يدي الله وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك
الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك
انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب
في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن
جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا
احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل
انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك
عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك
لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم تستحي
منه كما تستحي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على
اجابة الله في امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها
واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا
للقربة منه متقلدا المنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة
عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي
وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد
فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا
نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر
من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد
على المنافقين

العرض خ

في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله
وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون
قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته
وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله
وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما
وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن ان تحده الجهات
حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر
السموات والارض فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهممه في البيت والسوق
متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك ان يكون اول
مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله
الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه
على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي
ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق
من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان
قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله تعالى وحمد الناس فكن متقيا
من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست
من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل
والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد
مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه
وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا
لم يكن ملائما للحال فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم
انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك

مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق
لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله
لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله
فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان ذلك
لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي
هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن
قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله
اذ قال الله تعالى لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا معبود له سوى
الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن
الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير
فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني
قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها
واما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل
يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو
درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان
قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون
معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب
وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك
لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد
بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله
ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او
يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته
وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم
استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة

المترجم

فلانه لا يملك الا الله واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه
ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج و
التبري عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت
طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك
لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التفويض بقولك بسم الله ومن التحميد
ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك فلا تطلب الا اهم
حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي
بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهد بالذين
افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون
الذين غضب عليهم من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابئين
ثم التمس الاستجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فعسى
ان تكون ممن قال تعالى فيهم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين
فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول
الله تعالى حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده
الحديث الى آخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله
وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي
ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل
عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته
واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد
والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة
والاعتبار حق اخبار الانبياء وروي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله فاذا
نقر في الناقور فخر ميتا وكان ابرهيم النخعي اذا سمع قوله اذا السماء انشقت
اضطرب حتى يضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر
يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه

ناهيك اي حسبك

عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب
درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات
ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات
فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي
الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق
بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم
وكان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويقال لصاحب
القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام
فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال
صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب
حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة
السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره فذكره
باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود
اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا
ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم
وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية
وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلوته كانه وتد
وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير
عليه كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء
الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك جل جلاله عند من يعرف
ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه
بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى وعن اطلاعه
على سره وضميره وقال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك

في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع
والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله
من عقابه ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستانف له ذلا وتواضعا
بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز
مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك
فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على
قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا
للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم
تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر
الحمد بقولك ملء السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى
درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض
فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك
موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك
من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله
وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة
الآثار واذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك
فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك
مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما
اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك
واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان
جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذا
الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم
وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق
املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع

عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده
الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله
باعادة كلمتي الشهادة مستانفا للتحصن به ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء
الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة
واشرك في دعائك ابويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة
والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة
وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال صلى الله عليه وسلم صل
صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل
صلوتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان
يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كابة الصلوة
وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على
صلوتهم يحافظون والذين هم على صلواتهم دائمون والذين يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم
في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له منه ينبغي ان
يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين
فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فائض فنسال الله
تعالى ان يتغمدنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام
بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله تعالى وادائها
بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار
للقلب وتلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات
والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد
بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب وانما يكون حظ كل مصل على قدر صفائه
عن كدورات الدنيا ويختلف بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف
لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم المثال كما كوشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة
والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم
ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون

لتعين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة للهمة
فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك اولى بانكشافه ولما كانت
هذه الامور لا تتراءى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجب
عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية
تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان
للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما انكر
ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر
ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي
ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحث المشوشة ولم
يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة
فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا
قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من
لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر عليه
البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي
ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملائكته بعبده
المصلي ففتح ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه
وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء
والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن
هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب
ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة كل صف منهم
عشرة آلاف وباهى الله به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود
والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة
والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملائكة من القرب
والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم

المباهاة المفاخرة مختار الصحاح

وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله
فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف
عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلاة قال الله تعالى
قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة
وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاة ايضا فقال تعالى والذين
هم على صلواتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
فوصفهم اولا بالفلاح وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب
ينتهي درجته الى هذا الحد ولذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون
هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلبهم نسأل الله ان يجعلنا
منهم وان يجيرنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم
الجواد

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع
ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة
وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع
الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست
مختصة بالصلاة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله
وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس انه
اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود
صديقك ذاك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج
الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين
اما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود
في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد
ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه
الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف
وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله

من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت
ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء قال نعم
بوقوفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احدى الدارين قال فهل تجد شيئا مما نجد من امور
الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون وكان يقول
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا انه لم يشعر بسقوط
اسطوانة في المسجد وتآكل طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه
في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة
فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من الدنيا
قال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئا فقال وهل شيء احب الي
من الصلاة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله
في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروي
ان عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت
من حدودها شيئا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها
ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير
وطائفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان و
روي ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى
صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله فيها وسئل ابو العالية
عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف
اعلى شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم
هو الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها
برا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان
كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت
عليه الاحاديث اذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى
بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى

لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى صلاة فترك من قراءته آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل ابي بن
كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها
يا ابي ثم اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين
ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى
الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني باطنا ما تصنعون
وهذا يدل على ان استماع ما يقرأه الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم
ان الرجل يسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على
اهل مدينته لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد
لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على
ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى
في المعاد والله اعلم

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي اركان الصلاة وبعد السلام اما الوظائف
قبل الصلاة فست اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر
الى الاكثرين فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة
لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له
كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه و
اقرأ منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم
مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان
قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة من
الصحابة فسببه ايثارهم من رأوه اولى به او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان
صلاتهم فان الائمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص
في الصلاة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز اسباب
من هذا الجنس **الثانية** اذا خير المرء بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة
فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع

وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم
الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال ايضا الامام
امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم
وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارشد الائمة واغفر
للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن
في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير
حساب ولذلك نقل عن الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان
الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والائمة
بعدهم رضي الله عنهم اجمعين نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان رتبة
الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل
افضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل
والافقه قال صلى الله عليه وسلم ائمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم ان تزكوا
صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء افضل من العلماء ولا بعد
العلماء افضل من الائمة المصلين لان هولاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا
بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة
في تقديم ابي بكر رضي الله عنه للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا
لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا
بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به
الجنة فقال كن مؤذنا قال لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع فقال صل
بازاء الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة
وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها **الثالثة** ان يراعي الامام
اوقات الصلوات فيصلي في اوائلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت
على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله عليه الصلوة والسلام
وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من
اول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار

كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة
الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا
الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد تاخر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر
وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا
من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلوة الظهر فقدموا
ابا بكر حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم وهم في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام
انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره
الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله في طهارته وفي جميع شروط
صلوته اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن ابي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان
طريق الى الصلوة فهي اولى بان لا يوخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من مسجد
قد وقف على من يقوم باامامته او من السلطان او من آحاد الناس فلا يحكم
بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض اشد منها في التراويح ويكون
اجرته على مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في اقامة
الجماعة لا على نفس الصلوة واما الامانة فهو الطهارة باطنا عن الفسق
والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده
فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا
عن الخبث والحدث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا
او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل لياخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه
فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل
ثم رجع ودخل في الصلوة قال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن
خمر او معلنا بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبدا آبقا
الخامسة ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا
فان راى خللا امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون

في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن
الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة
بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة
الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب **السادسة**
ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع الماموم صوته الا بقدر
ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم
اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر
تكبيره عن تكبير الامام فيبتدئ بعد فراغه **وظائف القراءة ثلث فاولها**
ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في
جميع الصبح واوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله آمين في
الصلوة الجهرية وكذا الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا
لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار
الشافعي الجهر **الثانية** ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه
سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولاهن
اذا كبر وهي الطولى منهن بمقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت
قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه
ما نقص من صلوتهم فان لم يقرؤا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك
عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة
في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى **السكتة الثالثة**
اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما ينفصل القراءة
عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام الا الفاتحة
فان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام فان لم يسمع الماموم
في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا باس بقراءته للسورة **الثالثة**
ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة
الفجر والتغليس بها سنة ولا يضر الخروج منها مع الاسفار ولا باس بان

يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او العشرين الى ان يختمها لان
ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره
بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي
انه قرا في الفجر آية من البقرة وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفي الثانية
ربنا آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرا من ههنا وههنا فساله عن ذلك فقال
اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرا في الظهر بطوال المفصل
الى ثلثين آية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلوة
صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها بسورة والمرسلات ما صلى
بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف
فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة فاذا صلى لنفسه فليطول ما شاء
وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرا البقرة فخرج رجل من
الصلوة فاتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزجر صلى الله عليه وسلم معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرا سورة سبح
اسم والسماء والطارق والشمس وضحيها **ووظائف الاركان ثلثة اولها**
ان يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلث فقد روي
عن انس انه قال ما رايت اخف صلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام
نعم روي ايضا ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة
قال ما صليت وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب
قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح
وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن
الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا باس
بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من
الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية** الماموم ينبغي ان لا يساوق الامام في

الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى
المسجد هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع
حتى يستوي الإمام راكعا وقد قيل إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة
أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع
الإمام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم
الذين يسبقون الإمام وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من
دخل لينال به فضل الجماعة وإدراكهم لتلك الركعة ولعل الأولى أن ذلك
مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فإن حقهم مرعي
في ترك التطويل عليهم الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد
حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع فيقول
اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للإمام أن يخص نفسه ولا بأس
أن يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا و
الممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا إليك
غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لأنه يمسح الأرض بطولها وقيل لأنه ممسوح
العين أي مطموسها وظائف التحلل ثلاث أولها أن ينوي بالتسليمتين
السلام على القوم والملائكة الثانية أن يثبت عقيب السلام كذلك فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فيصلي النافلة في موضع آخر فإن
كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر المشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن
يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال
والإكرام الثالثة إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم
القيام قبل انفتال الإمام فقد روي عن طلحة والزبير أنهما صليا خلف
إمام فلما سلما قالا للإمام ما أحسن صلاتك وأتمها إلا شيئا واحدا أنك
لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن ما صليتم إلا أنكم
انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله

والتسمين أحب إلينا هذه وظيفة الصلوات أما الصبح فيزيد فيها
القنوت فيقول الإمام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن
المأموم فإذا انتهى إلى قوله إنك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين
وهو ثناء فيقرأ معه أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت
وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فإذا
صح الحديث استحب ذلك وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد
إذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وهو
أن لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة
ولا وظيفة لها هاهنا فلا يبعد أن يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت
فإنه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والإمامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

فضيلة الجمعة اعلم أن هذا يوم عظم الله به الإسلام وخص به
المسلمين وقال تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله (وذروا البيع)
فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي إلى الجمعة وقال صلى الله
عليه وسلم إن الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم
من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الإسلام
وراء ظهره واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة
ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول
في النار وفي الخبر أن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا
عنه وهدانا الله له وأخره لهذه الأمة وجعله عيدا لهم فهم أول الناس
سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها
عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها
خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله إياه أو ليس له قسم
ادخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله

من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد
قلت ولم قال إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض
فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا
إلى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه
خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط إلى الأرض وفيه تقوم
الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو
يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة وفي الخبر إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة
ألف عتيق من النار وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا سلمت الجمعة
سلمت الأيام وقال صلى الله عليه وسلم إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال
عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه
صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه وقال كعب إن الله تعالى فضل من البلدان مكة
ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة وقال إن الطير والهوام يلقى بعضها
بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة
كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط الجمعة** اعلم أنها تشارك
سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط **الأول** الوقت فلو وقعت
تسليمة الإمام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا والمسبوق إذا
وقعت ركعته الأخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف **الثاني** المكان فلا تصح
في الصحارى والبراري وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل
تجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان
ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه **الثالث** العدد فلا تنعقد إلا بأربعين
ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فإن انفضوا حتى نقص
العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر
الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق
إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وإن لم يدرك ركوع الثانية
اقتدى ونوى الظهر فإذا سلم الإمام أتمه ظهرا **الخامس** ألا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى
في تلك البلدة فإن تعذر جمعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة

وإن لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم أولا وإذا تحققت الحاجة
فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين فإن تساويا ففي المسجد الأقدم فإن تساويا
ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى **السادس** الخطبتان وهما فريضتان
والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض التحميد وأقله
الحمد لله والثانية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى
الله والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربع إلا أنه يجب فيه الدعاء
بدل القراءة واستماع الخطبتين واجب من الأربعين **وأما السنن** فإذا زالت الشمس وأذن
المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع إلا
بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام
فإذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا وشمالا ويشغل يديه بقائم السيف
أو العنزة كيلا يعبث بهما أو يضع إحداهما على الأخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة
خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة
جامعة ويستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فإن سلم
لم يستحق جوابا والإشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس أيضا هذه شروط الصحة فأما شروط
الوجوب فلا تجب الجمعة إلا على بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه
الصفات أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء المؤذن من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن
رفيع الصوت لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا ويرخص في ترك الجمعة
بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تأخير الظهر
إلى أن يفرغ الناس من الجمعة وإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت
جمعتهم وأجزأت عن الظهر **بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة** وهي عشر جمل
الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار
والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال
بعض السلف إن لله فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطي منه إلا من سأله عشية الخميس
ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه
من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلا

عاقل م

ولكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليشتغل باحياء
هذه الليلة بالصلوة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة
ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا
عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل
الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده
وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا
قالوا ما هذا اليوم قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من
انتظرها وراعاها من الامس واخسرهم نصيبا من اذا اصبح فيقول ايش اليوم
وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني اذا اصبح ابتدأ بالغسل
بعد طلوع الفجر واذ كان لا يبتكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب
عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا موكدا وذهب بعض العلماء
الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور
من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه وسلم من شهد
الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون بينهم
فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان لما دخل وهو
يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت
الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل
بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من توضأ يوم الجمعة فبها
ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية
غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى
كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على
ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا
ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن
نواه وكان لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية

ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من
طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب
ان يحترز عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي
ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق
الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود
من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان
قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا اليوم
باطيب طيب عنده ليغلب به الروايح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة
الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه
وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي
من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة
فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله البيض ولا يلبس
ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره
جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمايم يوم
الجمعة فان اكربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن
لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة وفي وقت الصلوة وعند
صعود الامام المنبر وفي خطبته الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان
يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع
الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا
متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلوة قاصدا للمبادرة الى
جواب نداء الله عز وجل اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه
وقد قال صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب
بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة

الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى
دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت
الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء
بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى
طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام
والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت
الزوال حق الصلوة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم
الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو
الى الجمعة قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان
يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام
من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان الملائكة
يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل
فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه
وان كان اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان
كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد
الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع
كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور
الى الجامع وكيف لا يستحي المومنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون
الى البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى
رحاب الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب الاخرة وقال الناس يكونون
في قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود
بكرة فراى ثلثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه
معاتبا اياها رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد الخامس في هيئة الدخول
ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد
شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس

وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ
راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا
فقال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال او لم ارك تتخطى رقاب الناس اشار الى انه
احبط عمله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا فقال او لم
فقال رايتك تانيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما
كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا
حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين
يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في
المسجد الا من يصلي فينبغي ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله
السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قرب من اسطوانة
او حايط حتى لا يمر وابين يديه اعني بين يدي المصلي فان ذلك لا يقطع
الصلوة ولكنه منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خير
له من ان يمر بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا رمددا
تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث اخر
في المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم
المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة
خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلى المفروش حد
المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى
فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري يدفع
من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان
فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب
بين يديه شيا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع
ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل
واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين

الجمعتين وزيادة ثلثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد
اشترط في بعضها ولم يتخطّ رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول
عن ثلثة امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره
من لبس حرير من الامام او غيره او صلوة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح
مذهّب او غير ذلك مما يجب الانكار عليه فالتأخر له اسلم واجمع للهمّ
فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي
في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به
الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند
المنبر يستمع الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي ذكر
ما احدثوا من لبس السواد قال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن فاستمع فقال
ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم و
لم تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب
ابي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له
اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور
اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد في الصلوة غفر لمن وراءه من
الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض
الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال فمن تأخر على هذه النية
ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات
ثانيها انه ان لم يكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين
فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان
الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة ورأوا انها قصرت على
السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد
فالمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلّى انس بن مالك
وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهة
تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع

لا يوجب كراهة ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف
الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان
الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه
متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى
القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلوة في الاسواق
والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم
من الرحاب الثامن ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع
الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت
عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له اصل في اثر
وخبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس ان يشتغل بالدعا لانه وقت
فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي
وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت
فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد
وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد
لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات
ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سأل
ابيّا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه
ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ابيّ اذهب فلا جمعة
لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابيّ وان كان بعيدا
من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل
ويفضي الى هينمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن
عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان يكره الصلوة
في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره الصلوة في اربع
ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب
التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام

مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل
في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق
بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في
ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي
ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن
وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار
انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف تكون
آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلي فيها
وليست حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد
ينتظر الصلوة فهو في الصلوة قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة
وكان كعب مائلا الى انها رحمة من الله للقائمين بحق اليوم وان اوان
ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود
الامام المنبر فليكثر الدعا فيهما الثالث يستحب ان يكثر الصلوة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي
في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة
عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد
واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا
ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا
ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه
من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها
في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد
ان يزيد اتى بالصلوة المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي
بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي
الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه

يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف
والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا
سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه
وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته
واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا
حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين
ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ
الصلوة ولو المشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار
فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة القرآن فليكثر منه
وليقرأ سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة ان من قرأ
سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له
الى يوم الجمعة الاخرى وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح
وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال
ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وان يكون ختمه
للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل او في ركعتي المغرب او بين الاذان
والاقامة للجمعة فان له فضلا عظيما وكان العابدون يستحبون ان
يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر
ركعات او عشرين فهو افضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي صلى
الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة او ليلتها فحسن
وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها
كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو الله
احد وكان يقرأ في صلوة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة
المنافقين وروي انه كان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم
الجمعة سورة سجدة وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوات

مقطعة خ

فيه اشارة الى عمر حسنات

لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم
وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فقد روي عن بعض السلف ان
من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان
يقول بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا
ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على
هذا الدعاء اغناه الله عز وجل عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم
يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا
والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل **العاشر** ان يلازم المسجد
حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل فقال صلى الله عليه وسلم
من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب
عمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه
او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا لله تعالى
ومتفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه و
لسانه الى غروب الشمس حتى لا يفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في
الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس
زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق التي تعم جميع النهار وهي سبع

الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلوة
او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان
يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى يوافيه الساعة
الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة روى عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلوة
الا ان يكون عالما بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع
بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم

النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور
مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه
ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة
اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ولقد آتينا داود منا
فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من افضل القربات والصلوة
افضل من مجلس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص
من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص في موضعه
فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل
ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما جاز
اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه
ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل
من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء
حجرة عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذاني بقصصه وشغلني
عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده **الثاني**
ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة
لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه وفي خبر آخر
لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل
عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في
الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر
اعني وقت الاختيار وقيل قبيل غروب الشمس وكانت فاطمة تراعي
ذلك الوقت وتأمر خادمتها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها
فتاخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة
هي المنتظرة وتأثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم

وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون
ومهما تثاءب فلا بأس ان يضع يده على فمه وهو الاولى وان عطس حمد الله
في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشأ فلا يرفع رأسه الى السماء وان سقط
رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة
مسئلة الصلوة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا فليست
الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي
معناها المداس صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع الناس
نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا قال ان جبريل اتاني
فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر
فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلوة
في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سألهم
ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد
الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذن قد فعل كليهما
فمن خلع فينبغي ان لا يضع عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف
بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من رأى
الصلوة فيه افضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه
بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما
ووضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما
فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين
قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال
جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسئلة** اذا بزق
في صلوته لم يبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت لا يعد
كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز
عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة

انه صلى الله عليه وسلم رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها
بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت
الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا ايّنا قال فان احدكم اذا
دخل في صلوته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه
الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه لكن عن شماله او
تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به
هكذا ودلك بعضه ببعض **مسئلة** لوقوف المقتدي سنة وفرض
اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة
الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم تضر ولكن خالف
السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن اليمين وهي خلف الرجل ولا
يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه
واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلوته مع الكراهة اما
الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام
رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك
جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف
افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام في
المسجد واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق او صحراء
مشتركة فليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر
غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الآخر وانما
يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها
لاصق في المسجد فالشرط ان يمتد صف المسجد في دهليزها من
غير انقطاع الى الصحن ثم يصح صلوة من في ذلك الصف ومن
خلفه دون من تقدم عليه وهذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء
الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء **مسئلة** المسبوق اذا
ادرك آخر صلوة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام وليبن

يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل
هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا
يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخففهما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال
الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ويستحب ان يصلي يوم الجمعة
اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس
وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في
ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة
ختمة ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما
سيأتي في باب التطوعات كيفيتها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال صلها في كل
جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال وكان
يخبر عن جلالة فضلها فالاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة وبعد
الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار
السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على
من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن احمد
سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل الى
ابي قطعة ولم يعرفه ليناولها اياه فلم ياخذها منه ابي قال ابن مسعود رض
اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا
تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون
رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا في مكان من غير تخط وقال كعب الاحبار
من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع
فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم
الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا

يوم الجمعة ثم غدا او ابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله
الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار
ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف
فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي
ان من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا
كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشرب
او يسبل حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشرى في المسجد مكروه
وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد
وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب
عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله
في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته
لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات
وسيأتي في كتاب الدعوات (ذلكم) الباب السادس في مسائل متفرقة
يعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي
تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه مسئلة الفعل القليل
وان كان لا يبطل الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب
الذي يخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلثا وكثر بطلت الصلوة
وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته الى
الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبراغيث في
الصلوة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يديه
وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب (يرميهما خ)
يأخذها فيخدرها ثم يطرحها قال مجاهد الاحب الي ان يدعها الا (التخدير سست كردانيدن ٢)
ان تؤذيه فتشغله عن صلوته فيوهنها قدرا لا تؤذي ثم يلقيها وهذه
رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم
لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلوة

عليه وليقنت في الصبح في آخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام وان
ادرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها
فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم
فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه
بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان لم يدرك الامام في
السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع
فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات
الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما
لم يطمئن في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد
مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة مسئلة من فاتته الظهر
الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزاه ولكن
ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم يصل
الظهر بعده فان الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك
جماعة صلى بالجماعة ونوى صلوة الوقت والله تعالى يحتسب ايهما شاء
فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة
اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى
لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة مسئلة من صلى ثم
راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو راى النجاسة (على الثوب)
في اثناء الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة
خلع النعلين حيث اخبره جبريل بان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم
لم يستأنف الصلوة مسئلة من ترك التشهد الاول او القنوت او ترك
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا
وكان تبطل الصلوة بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلثا او اربعا اخذ باليقين
وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب
فان سجد بعد السلام واحدث بطلت صلوته فانه لما رغب في السجود كانه

جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلوة
فلذلك يستأنف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه
من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات مسئلة الوسوسة في نية
الصلوة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل
امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه
عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل
لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل
لا يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا
اذا قام لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء
فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال
بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون (عنه ح)
تعظيما فانه لو قام مدبرا عليه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما
ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا
يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة
عليها اما تلفظا باللسان او تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على
هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيها الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت
فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم
تجتمع في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث يطالعها (النفس صح)
النفس ويتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر و
الحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث
مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة
وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم
والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود
فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث
اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط والتأخر او العدم

او تقدم العلم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اي اعلم الحادث
ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة
واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى آخره بل بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك ويفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفته فاما العامي فربما يضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه **مسئلة:** لا ينبغي ان يتقدم الماموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساوقه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساوقه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيها كما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ

اللايق بالمقتدي ان يتقدم فالمتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلوة وذلك ان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول
مسئلة: حق على من حضر الصلوة اذا راى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من راى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة فلا ينبغي ان يتساهل فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد فينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلفه ويدخل فيه اعني اذا لم يكن بالغا

فهذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسياتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما بعد الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيره لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحب ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع ويسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هي الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلوة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها
واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق

بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **القسم الاول** ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمان خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد **الاولى** راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا بما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا ان يتعلم منازل القمر او يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف انقلب الترتيب وبقي الاداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة فما بين الصبح الى طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة **الثانية** راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربعة قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن

وركوعهن وسجودهن من صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى
الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول
ان أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه
أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضاً ما روت أم حبيبة زوجة
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة
بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل الظهر وركعتين
بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر
حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر
ما ذكرته أم حبيبة الا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم تكن يدخل
فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني أختي حفصة أنه كان يصلي
ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد
العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت
ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة
مائلاً الى جهة المشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب
مستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة
المغرب الى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون
ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ
الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت
الظهر ونعلم قطعاً أن الزوال في علم الله وقع قبله ولكن التكاليف
لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ
في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ
الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها أول السرطان ويعرف
ذلك بالأقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق
لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع
على الأرض لوحاً مربعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد

أضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب
الى الأرض ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من
اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون
الخط مائلاً الى أحد الضلعين ثم ينصب عموداً على اللوح نصباً
مستوياً في موضع علامة ه وهو بإزاء ا القطب فيقع ظله في أول
النهار مائلاً الى جهة المغرب في
صوب خط ا ثم لا يزال يميل
الى أن ينطبق على خط ب
بحيث لو مد رأسه لانتهى على
الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون
موازياً للضلع الشرقي والغربي
غير مائل الى أحدهما فاذا بطل
ميله الى الجانب الغربي فالشمس في
منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل



عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا
يدرك بالحس تحقيقاً في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى
ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك
العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته في علم
الزوال
الثالثة راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى
أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رحم الله عبداً صلى أربعاً قبل
العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستحب استحباباً مؤكداً فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن
مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر
الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف
الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامته على

سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبي بن كعب وعبادة بن
الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان
المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
السواري يصلون الركعتين وقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل
المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصلينا
المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل أذانين صلاة لمن شاء وكان
أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما   فتركهما
فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن
ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الأراضي المستوية
التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف
الى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا أقبل
الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم والأحب
المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان أخرت وأديت قبل غيبوبة الشفق الأحمر
وقعت أداء ولكنه مكروه أخر عمر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم
فأعتق رقبة وأخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين
الخامسة راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الآخرة أربع
ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون
عدد الرواتب سبعة عشر كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح
وأربع قبل الظهر وركعتان بعده وأربع قبل العصر وركعتان بعد
المغرب وثلاث بعد العشاء وهو الوتر ومهما عرفت الأحاديث الواردة
فيه فلا معنى للتقدير فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع
فمن شاء أكثر ومن شاء أقل فاذن اختيار كل مريد من هذه الصلوات
بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض
وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر

يقولها أربع مرات ويقال انها تعدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله
أنه لا يكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال
ووقت الطلوع والغروب لما روي أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر
فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر
فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين احداهما أن الكراهية
مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل
اذ اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون
قضاء فاذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبالحري أن تنتفي بدخول
المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة
الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً الفائدة الثانية
قضاء النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا فيه أسوة حسنة
وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم أو مرض
فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من
كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وان
كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل
الأول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في وقت الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا
يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر كيلا تميل نفسه الى الدعة
والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه صلى الله عليه
وسلم قال أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل فيقصد به أن لا يفتر
في دوام عمله وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عبد الله
عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فليحذر أن يدخل تحت هذا الوعيد
وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله فتركها ملالة ولولا المقت والابعاد
لما سلطت الملالة عليه الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان
لأن الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما

طرأ الحدث قبل صلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة إلى
ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث
بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال
بم سبقتني إلى الجنة فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أني لا أحدث وضوءا إلا
أصلي عقيبه ركعتين أو كما قال **السادسة** ركعتان عند دخول المنزل وعند
الخروج منه روى أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء وإذا دخلت
إلى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل أمر
يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام وركعتان عند ابتداء
السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك
مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة
صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية
الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا
كالأكل والشرب فيبدأ فيها باسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال
لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر **الثانية** ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح
وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله سبحانه فيقول
المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد
لله والصلوة على رسول الله قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة في ابتداء
أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد **الثالثة** ما لا يتكرر
كثيرا فإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والإحرام و
ما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل
والدخول فإنه نوع سفر خفيف **السابعة** صلوة الاستخارة
فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخيرة في تركه أو في
الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يصلي ركعتين
يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل
هو الله أحد

يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في نهاية البعد لأن
الوضوء لا يكون سببا للصلوة بل الصلوة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ
ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهة
فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوي
ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا
يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء
وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف ودخول المسجد
حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلوة الوضوء بل ينبغي
أن ينوي بالوضوء الصلوة فكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلوتي
وفي صلوته يقول أصلي لوضوئي بل من أراد أن يحرس وضوءه عن
التعطيل في وقت الكراهية فلينو قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته
قضاء صلوة تطرق إليها خلل بسبب من الأسباب فإن قضاء الصلوات
في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه له ففي
النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلث **أحدها** التوقي عن مضاهاة عبدة
الشمس **والثاني** الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال صلى الله عليه وسلم
إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها فإذا ارتفعت
فارقها فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت للغروب
قارنها فإذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الأوقات ونبه به
على العلة **والثالث** أن سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على
الصلوة في جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث
الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والإنسان
حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض
وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح
والاستغفار حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع
عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي

الاستمرار استثقال وملال لذلك لم يكن الصلوة سجودًا مجردا ولا ركوعًا مجردا ولا قياما مجردًا بل رتبت العبادة من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضا الصلوات في صلوة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم به مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب تم كتاب اسرار الصلوات من كتاب احياء علوم الدين

كتاب اسرار الزكوة

وهو الكتاب الخامس من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسعد واشقى وامات واحيى واضحك وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض عليهم من نعمه ما ايسر به واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان والابتلا ثم جعل الزكوة للدين مبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين بالعلم والتقى وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام واردف بذكرها الصلوة التي هي اعلى الاعلام

فقال اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتا الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر وقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جات يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدي الزكوة وقابضها وينكشف ذلك في اربعة فصول الاول في انواع الزكوة واسباب وجوبها الثاني في ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه الرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول في انواع الزكوات واسباب الوجوب الزكوة باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعادن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر

النوع الاول زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل يجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون

نعم سايمة باقية حولاً نصاباً كاملاً مملوكاً على الكمال **الشرط الاول** كونه نعماً ففي
زكوة النعم في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد من بين الظباء
والغنم فلا زكوة فيها **الثاني** السوم فلا زكوة في معلوفة واذا اسيمت في وقت
واعلفت في وقت تظهر مؤنته فلا زكوة فيه **الثالث** الحول قال صلى الله عليه وسلم
لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول وتستثنى عن هذا نتاج المال فانه يتبع
عليها حكم المال ويجب الزكوة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول
او وهب انقطع الحول **الرابع** كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في
الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب
الا اذا عاد بجميع نمائه فيجب زكوة ما مضى عند عوده فلو كان عليه دين
مستغرق لملكه فلا زكوة عليه فانه ليس غنياً به اذ الغني ما يفضل عن
الحاجة **الخامس** كمال النصاب اما الابل فلا شي فيها حتى تبلغ خمساً
ففيها جذعة من الضان والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية
او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان
وفي خمس عشرة ثلث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض
وهي التي في السنة الثانية فان لم تكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر
وهو الذي في السنة الثالثة يوخذ وان كان قادرا على شراها وفي ست
وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستاً واربعين ففيها حقة وهي التي
في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي
في السنة الخامسة فاذا صارت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون
فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى و
عشرين ومائة ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد
استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون
واما البقرة فلا شي فيها حتى تبلغ ثلثين ثم فيها تبيع وهي التي
في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في
الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة

وفي كل ثلثين تبيع واما الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين
ففيها [illegible] جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شي فيها حتى تبلغ
مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلث
شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة
شاة [illegible] ليطلق لصدقة الملك الواحد في النصب فاذا
كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلثة نفر مائة
وعشرون ففيها [illegible] جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع
ولكن بشرط ان يرعى [illegible] [illegible] او يشرب جامعاً
ويكون المرعى [illegible] ويكون [illegible] الفحل [illegible] وان يكونا جميعاً من
اهل الزكوة [illegible] حكم للخلطة [illegible] مع المكاتب ومهما نزل في واجب الابل
عن سن الى سن فهو جايز [illegible] او بنت المخاض في النزول
ولكن يضم اليه جبران السن [illegible] واحد شاتين او عشرين درهما
ولستتين اربع شياه او اربعين [illegible] وله ان يصعد في السن
ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من
بيت المال ولا يوخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحاً
ولو واحد فيوخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يوخذ
من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غذاء المال
النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت
مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شي فيما دونها ولا في الفواكه والقطن
ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب [illegible] بشرط ان يكون
ثمانمائة من تمرا او زبيبا لا رطبا ولا عنبا ويخرج بعد التجفيف
ويكمل مال احد الخليطين بمال الاخر في خلطة الشيوع كالبستان
المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم
ثمانين مناً من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا
يكمل نصاب الحنطة بالشعير ولا يكمل نصاب الشعير بالسلت

على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة
بالاخراج عن نفسها اجزأته وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان
فضل عنه ما يوقى عن بعضهم ادى عن بعضهم فالاهم بالتقديم من كان
نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على
نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد
للغني من معرفتها وقد يعرض له وقايع نادرة خارجة عن هذا فله
ان يتكل فيه على الاستفتا عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا
المقدار **الفصل الثاني** في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة
بيان الشروط الظاهرة اعلم انه يجب على مودي الزكوة مراعاة
خمسة امور **الاول** النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس
عليه تعيين الاموال فان كان له مال غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان
سالما والا فهو نافلة لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية
الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام
نية المالك الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة
عنه اما في الاخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكوة
واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه
لان توكيله بالنية نية **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر
لا يوخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس آخر يوم
من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله
مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق
وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكوة عنه وتعجيل الزكوة
جايز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل
زكوة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او ارتد او صار
غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس
بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن

المعجل مراقبا اخر الامر وسلامة العاقبة **الثالث** ان لا يخرج بدلا باعتبار
القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن
ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدري غرض الشافعي رضي الله عنه
يتساهل في ذلك ولا يلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن
التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات
الشرع ثلثة اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض
وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود
الشرع فيه الابتلا بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له
معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا
يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة
لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على
ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر
من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم الثاني**
من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه
التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فعله
ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه
عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان
لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث**
هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان
المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق
فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين
ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب
اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم ينتبه له
غير الشافعي رضي الله عنه فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي

فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كانت تسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يوخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيوخذ الرطب ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو نقص من النصاب حبة فلا زكوة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان موجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويودي الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشرا نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكوة والاولى ان يودي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكوة فيها بحول راس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج واموال الصيارف

لا ينقطع حولها بالمبادلة لما الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده من الذهب والفضة فيه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يوكد شبهة الغنيمة واعتباره ايضا ليس بعيدا لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يختص على الصحيح بالنقدين واما المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه **النوع السادس** صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او افضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب عليه نفقته من الآباء والامهات قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك

سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود الشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل الى الشاة ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وبشاتين ان كان الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا مثار الغلط فيه **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان يصرف الى الغربا في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل قوله تعالى انما الصدقات للفقرا والمساكين فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالي للفقرا والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المولفة قلوبهم والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقرا والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف

مثلا قسم زكوة ماله خمسة اقسام متساوية او متقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلثة اسهم فما فوقه اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف عن ثلثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منه واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط ماله بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه **بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة** اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكوته وظائف **الاولى** فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني الاسلام مع انها تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلثة معان **الاول** ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفا به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله تعالى والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس الى ثلثة اقسام **قسم** صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم

فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ باية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد ان اسقط الزكوة عن نفسه ويحتمل ان يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض وهذا مختلف فيه فالاقتراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا يحفكم اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا احد معاني تعبد الله تعالى عباده ببذل الاموال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع المهلكات

فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير اينما كنت انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب الثامنة صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة فهي ما روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا لله سبحانه وتعالى ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف المجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله تعالى قال وهيب بلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون على معصية الله تعالى التاسعة صلوة التسبيح وهذه الصلوة

كان

ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده وعلانيته وسره تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا قاعدا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في كل اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات الماثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رايت بعض المتصوفة

وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي منه وانما يزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي مطهرة صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله عز وجل المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكرا لله على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او شهر رمضان فقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول الوظيفة الثالثة الاسرار فان ذلك ابعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب

جميعاً

الجهد ... وبالفتح المبالغة ... اللغة ... فوق الطاقة ...

رياء. وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق
بصدقة فلم يعلم شماله بما أعطته يمينه، وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب، وقال تعالى
وقال تعالى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم. وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة
الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان
والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء، وفي الإخفاء والسكوت
هو الخلاص منه. وقد بالغ في قصد الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي
وكان بعضهم يلقيه في يد أعمى، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا
يرى المعطي، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير
على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه،
كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة. ومهما لم يتمكن
إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ في
معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء. ومهما كانت
الشهرة مقصودة له حبط عمله، لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال، وحب
الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال، وكل واحد منهما مهلك في الآخرة، ولكن صفة
البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغا، وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعي
وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فمهما قصد الرياء والسمعة
فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة
الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه. وقوة هذه الصفات التي بها
قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها،
فأي فائدة في أن يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوي الأقوى،
وستأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات. **الوظيفة الرابعة** أن يظهر
حيث يعلم أن في إظهارها ترغيبا للناس في الاقتداء به ويحرس سره عن داعية الرياء
بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء، فقد قال تعالى إن تبدوا
الصدقات فنعما هي، وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما
سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي

هو المخلص ح
جلوس حم
الصدر است بداشتن
اسب کوش را و مو متعد
و بعضی سر ضرت
بعر بستان و حافر
مصرور لی منقبض
مریاحد ...

أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان. وهذا لأن في الإظهار
محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير فإنه ربما يتأذى بأن
يرى في صورة المحتاج، فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه
فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وهو كإظهار الفسق على من تستر به
فإنه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه، فأما
من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة ولكن هو السبب فيها، وبمثل هذا
المعنى قال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له. وقد قال
تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية، ندب إلى العلانية أيضا لما فيه
من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور
الذي فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان
في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل
ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال. **الوظيفة الخامسة**
أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى، قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
فاختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن
يظهرها، وقال سفيان من من فسدت صدقته، فقيل له كيف المن
فقال أن يذكره ويتحدث به، وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء، و
الأذى أن يعيره بالفقر، وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى
أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة. وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله
صدقة منان. وعندي أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب
وصفاته ثم يتفرع عليه أفعال ظاهرة على اللسان والجوارح، وأصله
أن يرى نفسه محسنا إليه ومنعما عليه، وحقه أن يرى الفقير محسنا
إلى نفسه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه
لو لم يقبله لبقي مرتهنا به، فحقه أن يتقلد منة من الفقير إذ جعل
كفه نائبا عن الله تعالى في قبض حق الله تعالى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل، فليتحقق أنه مسلم

إلى الله تعالى حقه، والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته ملكا إلى
الله تعالى، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به صاحب الدين عبده
أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون
القابض تحت منته سفها وجهلا، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه،
أما هو فإنما يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه
فلم يمن به على غيره. ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب
الزكوة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارا
لحب الله أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد،
وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا إليه. ومهما
حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسنا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر
في معنى المن وهو التحدث به وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة
والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور،
فهذه كلها ثمرات المنة، ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه. وأما الأذى فظاهره
التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار
وفنون الاستخفاف، وباطنه وهو منبعه أمران: أحدهما كراهيته لرفع اليد عن
المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة. والثاني رؤيته
أنه خير من الفقير وأن الفقير بسبب حاجته أخس منه، وكلاهما منشؤه
الجهل. أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة
ما يساوي ألفا فهو شديد الحماقة، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا
الله تعالى والثواب في الدار الآخرة، وذلك أشرف مما بذله، أو يبذله لتطهير
نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد، وكيفما فرض فالكراهة
لا وجه لها. وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف
خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته، فصلحاء الأغنياء
يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
هم الأخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون أموالا
الحديث.

أن يشتري ضيعة فيستغني بها أقرب إلى الاحتياط، وهو أيضا مائل
إلى الإسراف، والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة، فما وراءه فيه خطر،
وفيما دونه تضييق. وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف
فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له، ثم يقال للورع استفت قلبك وإن أفتوك
وأفتوك، كما قاله صلى الله عليه وسلم، إذ الإثم حزاز القلوب، فإذا وجد
القابض في نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا
بالفتوى من علماء الظاهر، فإن لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات،
وفيها تخمينات واقتحام شبهات، فالتوقي من الشبهات من شيم ذوي
الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة. **الخامسة** أن يسأل صاحب المال
عن قدر الواجب عليه، فإن كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذ منه لأنه لا
يستحق مع شريكه إلا الثمن، فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين
من صنفه، وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لا يراعون هذه
القسمة إما لجهل وإما لتساهل، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه
الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم، وسيأتي مظان السؤال
ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام. **الفصل الرابع** في صدقة
التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها. **فضيلة الصدقة
من الأخبار** قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بشق تمرة فإنها تسد من
الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة، وقال صلى الله
عليه وسلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى
إلا طيبا إلا كان الله عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم
فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد، وقال صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء
إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك
فأصبهم منه بمعروف، وقال صلى الله عليه وسلم ما أحسن عبد الصدقة
إلا أحسن الله الخلافة على تركته، وقال صلى الله عليه وسلم كل امرئ في

المعطية معزل
مو مهذب

الفصيل کودک
از شیر باز کرده
و جه اشتر را
نیز کویند الفصلان
والفصال جمع
مهذب

ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد
سبعين بابا من الشر وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب
الرب وقال صلى الله عليه وسلم ما المعطي بافضل اجرا من الذي يقبل من من سعة ح
حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون
مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح
تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه
تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا فقال انفقه على نفسك قال ان
عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على
ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر
قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد
صلى الله عليه وسلم انما هي اوساخ الناس وقال صلى الله عليه وسلم ردوا مذمة
السائل ولو بمثل راس الطائر من الطعام وقال صلى الله عليه وسلم لو صدق
السائل ما افلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا
لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان
يناول المسكين بيده وقال صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده
التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرءوا
ان شئتم لا يسالون الناس الحافا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم مرقعة ح
يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة

الآثار قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضي الله عنها
بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قول الله تعالى ويطعمون
الطعام على حبه فقال وهم يشتهونه وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب
يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولي الحاجة
منا

وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم
يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان
الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين
ضعفا وانها لتفك لحي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد
الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق
عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله لسبعين سنة وقال لقمان
لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ
ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز
بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز البر كتمان المرض وكتمان المصائب
وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الاعمال تباهت وروى بسند ح
فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر
ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء
لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس
يوم القيامة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم اي احوج او فقر الذي كانوا احوج نصب على الحال
لله تعالى اشبعه الله تعالى ومن سقى لله تعالى سقاه الله تعالى ومن
كسا لله كساه الله تعالى وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء
لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه
الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته
وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بشرب الموسر من الماء الذي
يتصدق به ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان من كان
ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن
مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى ثمنها بالدرهم والدرهمين
قال لا قال فاذهب فان الله تعالى رضي في الحور العين بالفلس
واللقمة **بيان اخفاء اخذ الصدقة واظهارها** قد اختلف

طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال
قوم الى الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات
ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان
الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروءة
وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب
الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف **الثاني** انه اسلم لقلوب
الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون
انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء
الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى
وقال ابو ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان
يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما اترك استعمال
الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رأى
عليه قميص جديد فقال اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي بعض ح
خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به لما قبلته **الثالث** اعانة المعطي
على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء كثير والاعانة
على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا
انكشف امر المعطي دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه
آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب
في اخفاء معروفه فقبلته وذاك اساء ادبه في عمله فرددت
عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال لم ترد
على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم تقنع
بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين
في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت
الله تعالى بالجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء
فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته

ولا يتحدث بها لقبلت صلته **الرابع** ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا
وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ
في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت
بالذي يرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله **الخامس** الاحتراز
عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي له هدية وعنده قوم
فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية
قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه
خبزا فجعل الورق هدية فانفراده بما يعطى في الملأ مكروه الا برضا
جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة واما الاظهار
والتحدث به ففيه معان اربعة **الاول** الاخلاص والصدق والسلامة
عن تلبيس الحال والمراءاة **والثاني** اسقاط الجاه والمنزلة واظهار
العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس
من اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال
ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه
اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك
او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك لانه
يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد
ثوابه **والثالث** هو ان العارف لا نظر له الا الى الله تعالى والسر والعلانية
في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا
بدعاء من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا
ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد
الفرد حكي ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين
فشق على الآخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم الآخرين ح
دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد
كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا

بما امره الشيخ وقال ذلك المريد لم اقدر عليه فان الله تعالى كان يراني
في كل موضع فقال الشيخ هذا امين الله لانه لا يلتفت الى غير الله تعالى
الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك
فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه
بالبخل وقال الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم
الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة
احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع
يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الآخرة
افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملأ فخذ ثم اردد في السر
والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الله تعالى والشكر لم يشكر الناس
قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا
فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد
كافأتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا
من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله
فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اي هو مكافاة فالآن اذا عرفت
هذه المعاني **فاعلم** ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا
في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما بتا
بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف
النيات ويختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون
المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع
ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار
مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار
فمن ميل الطبع اليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين
الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه
فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر

معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك
ومحكه امر واحد وهو ان يكون تألمه بانكشاف اخذه الصدقة كتألمه
بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله فانه ان كان يبغي صيانة
الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انهتاك الستر او اعانة
المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل
بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف
امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر
الشيطان وخداعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث
انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض
مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن
ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل
الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب
لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين
في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن
والشيطان لا يقدر على متدين الا بان يروج هذا الخبث في معرض
السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني
التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك
ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى
المعطي ولا الى من يرغب في اعطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار
العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي
ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو
اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا
علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر
فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء
حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب

الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها
ما افلح مع انه صلى الله عليه وسلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم
وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال في واحد انه سيد
اهل الوبر وقال في آخر اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل
فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه
خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال اذا مدح المؤمن ربا الايمان
في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا
ليوسف بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت
ذلك نعمة من الله تعالى علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني
ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق
ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي
يقال فيه ان تعلم مسئلة واحدة افضل من عبادة سنة اذ بهذا العلم تحيى
عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ
في الملأ والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات
الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت
الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة

كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون الاخذ من
الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه
ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب واما
الصدقة فاوسع وقال قائلون ياخذ الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على
واجب ولو ترك المساكين كلهم اخذ الزكوة لاثموا ولانه لا منة فيه وانما هي
حق واجب لله رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم
حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق
يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة

وابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز
عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا
يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فان كان في شبهة
من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة واذا علم انه
مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في
قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير بين هذا وبين اخذ الصدقة فان كان
صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذه هو فلياخذ الصدقة
فان الزكوة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير
للخير وتوسيع للمساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ
الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ
الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال
والله اعلم للصواب تم كتاب اسرار الزكوة من كتاب احياء علوم الدين

كتاب أسرار الصيام
ومهماته وهو الكتاب السادس من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر وأعن على الإتمام

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد أمله وخيب ظنه إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة وفتح لهم به أبواب الجنة وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة والصلوة على محمد قائد الحق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم كثيرا

أما بعد فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الإيمان ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به وقد قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصيام لي وأنا أجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلى الله عليه وسلم للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال صلى الله عليه وسلم نوم الصائم عبادة وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية هي أيام الصيام في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجلي المبذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال صلى الله عليه وسلم في الصائم يقول الله عز وجل يا ملائكتي انظروا إلى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لأنه قال إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين أحدهما أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني أنه قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسيأتي فضائل الجوع في كتاب كسر شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة الله

ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال الله تعالى إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله تعالى ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإنما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة وإذ عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

الفصل الأول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

الأول مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فإن غم فاستكمال ثلاثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه وإذا رأى الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب

الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة جازمة فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا لكل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع وهو الذي عنيناه بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي

فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه لأنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند إلى استصحاب كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزم النية باللسان فإن النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بأنه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها

الثالث الإمساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وإدخال الميل في الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فإنه لا يفطر أما من أكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بنظر واجتهاد

الرابع الإمساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج فإن جامع ناسيا لم يفطر وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة

الخامس الإمساك عن الاستمناء

وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر
بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون
شيخا او مالكا لاربه فلا بأس بالتقبيل وتركه اولى واذا كان
يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره
السادس الامساك عن اخراج القيء فالاستقاءة تفسد الصوم
وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه وصدره
لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى الا ان يبتلعه بعد وصوله الى
فيه فانه يفطر عند ذلك واما اللوازم للافطار فاربعة القضاء و
الكفارة والفدية والامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما
القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر
فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون
فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف
شاء متفرقا ومجموعا اما الكفارة فلا تجب الا بالجماع واما الاستمناء
والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة
فان اعسر فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا
واما الامساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر
فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت بقية نهارها ولا على المسافر
اذا قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد
بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل من الفطر
الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم
يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع
اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد
مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا
واما السنن فست تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء
قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان

لما سبق من فضائله في باب الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد
لا سيما في العشر الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب اهله اي اداموا
النصب في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه
الاوتار ليلة احدى وثلث وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان
نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة
كما لو خرج لعيادة او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان
خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج
على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان
ولا يسأل عن المريض الا مارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل
ولا بأس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليد
في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج
بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني رأسه فترجله عائشة
رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجة
فاذا عاد فينبغي ان يستأنف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام
مثلا والافضل مع ذلك التجديد الفصل الثاني في اسرار الصوم
وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص
وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء
الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر و
اللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص
فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى
الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى
الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك
زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته
بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك

من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء
والصديقين والمقربين ولا يطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه
عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله تعالى وانصراف عن غير الله تعالى
وتلبس بمعنى قوله عز وجل قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص
وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة
امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم
ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى قال صلى الله
عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله
آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة و
النميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة الثاني حفظ اللسان
عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة
والمراء والزامه السكوت او شغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن
فهذا صوم اللسان وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن
الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة
والكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما
فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل اني صائم وجاء في
الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال
قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما
غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على
ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان
الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء

ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله سخرة له اذ يكتسب المال بجهده
ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى
الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه
فالغني يستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم
والتزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فيأكله اعداؤه
فاذا مهما انتفى الكراهة وتبدل بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له
في اداء الواجب وتقييضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله
منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار
والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى فان قلت فرؤيته
نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها
انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان
الفقير لو جنى عليه جناية او مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره
واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم تخل صدقته
عن شائبة المنة لانه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت
فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه فما دواؤه فاعلم ان له دواء
باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم
الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر
فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فان الافعال التي تصدر عن
الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سيأتي اسراره في الشطر الاخير من الكتاب
ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما بين يديه
يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك
كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير وتكون
يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة اذا ارسلتا معروفا
الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل
قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون

الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل
عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان ارباب القلوب
يداوون قلوبهم فلا دواء من حيث الظاهر الا هذه الاعمال الدالة على
التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن الا المعارف التي ذكرناها
هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون
العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من
الصلوة وثبت ذلك بقوله ليس للمرء من صلوته الا ما عقل وهذا بقوله
لا يقبل الله صدقة منان وبقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط
فحديث اخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة **الوظيفة السادسة**
ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات
وهو محبط الاعمال قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال
ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت
صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره
وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او
رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام
يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان
العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل
كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه فان
ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له
المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله
فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان
ينظر الى الاخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه
واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله
عن الله تعالى فيكون هيئة الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد

وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه
هو الاحب عند الله وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال
ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده
واحبه اليه واجله واطيبه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج
من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان عن
انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج
من جيد المال فهو من سوء الادب اذ قد يمسك الجيد لنفسه او لعبده
او لاهله فيكون قد اثر على الله تعالى غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم
اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله تعالى
وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره
على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي
ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة
وترك الادخار وقد قال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي
لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم
وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من
احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف
درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله بشيء مما يحبه ولذلك ذم الله
تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي
تكذيبا لهم جعلهم لله ما يكرهون ان لهم النار **الوظيفة الثامنة** ان يطلب
لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية
فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة
الصفة الاولى ان يطلب لصدقته الاتقياء المعرضين عن الدنيا
المتجردين لتجارة الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لا تاكل الا طعام تقي

ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون
شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء
واولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ اخر اضف بطعامك من تحبه في الله
وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له
لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا
طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب
الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه
وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا
ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد
مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك
وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية**
ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف
العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل
العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء
فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم
للعلم افضل **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد
وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر
الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمان
لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر
غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ
سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد
تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي
الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث
القوي الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف و
التردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر

الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره
وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا الموحد
لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو
بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم بعث
معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد
لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس
فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله
وحده وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب
الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عائشة
في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله فقالت والله لا افعل
ولا احمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر وفي لفظ
اخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله
ورؤية الاشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا
ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا
ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه
عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكانه لم ينفك
عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة
الشرك وشوائبه **الصفة الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته
لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة ممن ذهبت
نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى
يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون
الناس الحافا اي لا يلحون في سؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم

وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او سبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تعالى للفقرا الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الآخرة لعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف بهذه الاسباب كان عمر يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان صلى الله عليه وسلم يعطي العطا على قدر العيلة وسئل عمر عن جهد البلا فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقا واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقايق فهذه من الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقا الله تعالى والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثاني فبهذا يتضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله تعالى اعلم بالصواب **الفصل الثالث** في القابض واسباب استحقاقه ووظايف قبضه

من الوصل [illegible]

بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا يصرف زكوة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي او مطلبي اما الصبي والمجنون فيجوز ان يصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية **الصنف الاول** الفقرا والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقرا فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ولا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر عورته فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسوال ولا يجعل السوال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظايف العبادات واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه قال صلى الله عليه وسلم الكسب فريضة بعد الفريضة وقال عمر كسب في شبهة خير من مسالة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب فليس بفقير **الصنف الثاني** والمسكين الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب لا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض

الفقرا ص

وهو عاجز ط

المساكين ص

التعلم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجدي في الدنيا الا بمجرد التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعلم ان كان لاجل الكسب كالمودب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلته ولا تباع في الفطرة كادوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شي لزمه الفطرة فاذا قدر حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان يقدر بالسنة فلا يباع ثياب الصيف في الشتا ولا ثياب الشتا في الصيف والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة له الا الى احديهما فان قال احديهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما **قلنا** اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان نسختان من علم واحد احديهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحد فايدة ليس في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصا هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه برايه ويقرب في التحديد بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث العاملون**

وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجرة المثل فان فضل شي من الثمن على اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المولفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطايه تقريره على الاسلام وترغيب نظرايه واتباعه **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبد له **السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفا فتنة **السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو **الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي قدر بلغته **فان قلت** فبم تعرف هذه الصفات **قلنا** اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز الاعتماد على قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق واما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسياتي **بيان وظايف القابض** وهي خمسة **الاولى** ان يفهم ان الله عز وجل اوجب صرف ما صرف اليه ليكفى مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله واليوم الآخر وهو المعني بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه في الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على ايدي الاغنيا

العريف [illegible]

الشخوص از جاى بجاى شدن [illegible] ارتفع

عازب

الجيمة والجوة باز دانيش طعام وشراب [illegible] ويعدى الى المفعول [illegible]

[illegible]

ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصبّ
الى الفقرا فيتجردون لعبادة الله تعالى والاستعداد لما بعد الموت
فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهّب الفاقة وهذا
منتهى النعمة في حق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل
الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب
الفقر بيانه وتحقيقه ان شا الله تعالى فلا ياخذ ما ياخذه من الله رزقا
له وعونا على الطاعة فليكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان
لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية
الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله تعالى الثانية
ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا
يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق
حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية
النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر
الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها
وخالق القدرة عليها نحو قوله تعالى نعم العبد انه اواب الى غير
ذلك فليقل القابض في دعايه طهر الله تعالى قلبك في قلوب الابرار
وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهدا
وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافيوه فان لم
تستطيعوا فادعوا له حتى تروا ان قد كافيتموه ومن تمام الشكر ان
يستر عيوب العطا ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيّره
بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي
الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد
القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم
تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه
والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله تعالى

فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة
اصلا الثالثة ان ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع عنه ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع
عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذن من اموال الاتراك والجنود
وعمال السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر
وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان
فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتي في كتاب الحلال
والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ
زكوة اذ لا يقع زكوة عن مؤديه وهو حرام الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة
والاشتباه في مقدار ما ياخذ فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا
اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة
او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على
اجرة المثل فان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى
يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكرا الدابة الى مقصده وان
كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح
ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع
ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث
بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه او يستغني عن نفاسته
فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه
طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق
معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج
في تقدير الحاجة مقامات في التضيق والتوسع ولا ينحصر مراتبه وميل
الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسع حتى يرى نفسه محتاجا
الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته

فلا ياخذن المال الكثير بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى
ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل
ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة فهذا
اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره
او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلما في قدر الماخوذ بحكم
الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار
على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن حنظلة انه صلى الله عليه وسلم
نهى عن السوال مع الغنى فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه
وقال آخرون ياخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة
اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على الاغنيا فقالوا له ان ياخذ لنفسه
ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال قايلون حد الغنى خمسون
درهما لما روى ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال من سال وله ما يغنيه
جا يوم القيمة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون درهما او قيمتها
من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه عطا بن
يسار منقطعا انه صلى الله عليه وسلم قال من سال وله اوقية فقد الحف
في السوال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به
ضيعة فيستغني به طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان
هذا هو الغنى وقد قال امير المومنين عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا
حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود الى مثل حاله
ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل طلحة
بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال صلى الله عليه وسلم اجعله
في قرابتك فهو خير لك فاتاه حسان وابا قتادة فحايط من نخل
لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئراها فهذا
ما حكي فيه اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية
السوال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز الى

الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى
بين المستمع واكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت
وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت
فالسكوت على الغيبة حرام وقال انكم اذا مثلهم ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم الرابع كف بقية الجوارح
من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت
الافطار فلا معنى للصوم وهو كف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام
فمثال هذا الصايم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال
انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من
الدوا خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام
سم يهلك الدين والحلال دوا ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم
تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع
والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن
الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي
لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت
الافطار بحيث يمتلي جوفه فما من وعا ابغض الى الله تعالى من بطن ملي
من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة
اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه
الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة
لرمضان فيوكل من الاطعمة فيه ما لا يوكل في عدة اشهر ومعلوم
ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى
واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشا حتى هاجت شهوتها
وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها
وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة
لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي

هي وسايل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل
وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع
ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الاداب
ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف
القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في قلبه قدرا من الضعف
حتى يخف عليه تهجده فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر
الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها
شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن
جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب
ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن
غير الله تعالى وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام
وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شا الله تعالى
السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف
والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه
فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد
روي عن الحسن بن ابي الحسن البصري انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون
فقال ان الله تعالى جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه
لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل
العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب
فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه
والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة
المردود يسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له
انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل
فالصبر على طاعة الله تعالى اهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعاني
الباطنة في الصوم. فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج

المضمار ميدان واسبق به يكون ميدان فيه مهر

وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم
ان فقها الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف من
هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة
وامثالها وليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر
على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علما الآخرة
فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون
ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو الصمدية
والاقتدا بالملايكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون
عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بنور
العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملايكة لاستيلا الشهوات عليه
وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين
والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق
بافق الملايكة والملايكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم
يقرب من الله تعالى كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب
ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب الالباب
واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشا
مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي
معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع والعطش
ولهذا قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون صوم
الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال
الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال العلما كم من صايم مفطر وكم
من مفطر صايم والمفطر الصايم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام و
ياكل ويشرب والصايم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه
ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع
وافطر بمقارفة الآثام كمن مسح كل عضو من اعضايه في الوضو ثلث

الشهر دخول شدن مهر

مرات فقد وافق في الظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلوته
مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره
كمن غسل اعضاه مرة مرة فصلوته متقبلة لاحكامه الاصل و
ان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلث
مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم
انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال
السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل اني
صايم اي اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك
فاذا قد ظهر ان لكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في
ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم
ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد
في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد
ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول من ذي الحجة
والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات
فاضلة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن
انه في رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم
ولانه ابتدا السنة فبناوه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال
صلى الله عليه وسلم صوم يوم من شهر حرام افضل من ثلثين من غيره وصوم
يوم من رمضان افضل من ثلثين من شهر حرام وفي الحديث من صام
ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة
سبعماية عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان
ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان
فجايز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة

عبادة ظاهرا وباطنا ونشرا ولذا ولنشوره درجات ولكل منه

ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلثة الا ان يوافق
وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر
رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر
الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلثة سرد
وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
وذو القعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج و
ليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من
ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله تعالى من ايام عشر ذي
الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل
قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد الا من
عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاوله
واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهو الثالث عشر والرابع
عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين والخميس
والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير
الخيرات لتتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات واما
صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم
من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهيته والصحيح انه انما يكره
بسببين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر
كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا
على نفسه مع ان الله تعالى يحب ان يوتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك
وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة
من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين
معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر
بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في

في قهرها فقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر
يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزاين الدنيا
وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت
واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صوم اخي
داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول اني اريد افضل من ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك
فقال لا افضل من ذلك وقد روي انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا
قط الا شهر رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر
فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلثة من اول
الشهر وثلثة من اوسط الشهر وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات
الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهر
اوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده
تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى احواله
فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار
بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب
لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه
صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم
وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف
له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان توالى
بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا

المنازلة والتنازل ...

ان ذلك يقسي القلب ويولد ردئ العادات ويفتح ابواب الشهوات
ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليلة
مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله تعالى اعلم
تم كتاب اسرار الصوم منتصف [illegible] لاول [illegible] عن [illegible] المجد الحاج
[illegible] صانه الله عن اهل البدعة والفساد وزانه بارباب العلوم والسداد
[illegible] والصلوة والسلام على محمد واله واصحابه الاكرم الامجاد

كتاب اسرار الحج ومهماته وهو الكتاب السابع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل
البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا
وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد
وبين العذاب ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة
وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا اما بعد
فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر
وتمام الاسلام وكمال الدين فيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه
قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها
الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال
واجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها
وسننها وآدابها وفضائلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق
الله تعالى في ثلثة ابواب الباب الاول في فضائل الحج
وفضائل مكة والبيت العتيق وجملة اركانها وشرائط وجوبها

الحج القصد ومنه المحجة الطريق وعند [illegible] غلب الحج على قصد الكعبة للنسك المعروف والحجة بالكسر المرة والقياس الفتح [illegible] على ما حكاه ثعلب [illegible] ذو الحجة لشهر الحج [illegible] صحاح

الباب الثاني في اعماله الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع
الباب الثالث في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها
الباطنة فلنبدأ بالباب الاول وفيه فصلان الفصل
الاول في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال
الى المشاهد فضيلة الحج قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك
رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله تعالى ابرهيم عليه السلام
وعلى نبينا ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان الله تعالى
بنى بيتا فحجوه وقال عز وجل ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في
الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب
الكعبة وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال صلى الله
عليه وسلم من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه
كيوم ولدته امه وقال ايضا ما رؤي الشيطان في يوم هو فيه اصغر
ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من
تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من
الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد اسنده جعفر بن
محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من
المقربين ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل
الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي
ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه
اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال
صهيل الخيل في سبيل الله ولو كان في سبيلي كان احب الي
قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو
تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف ظهرك
قال قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتا متى يعجب

هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من
بيته حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيمة
ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها
وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال الحجاج والعمار وفد
الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان
دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من
طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله
تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم ماية وعشرون رحمة
ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين
وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه
في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف
ابتداء في غير حج ولا عمرة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف
من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفره
لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق
يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في
الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا
اذ نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال اهل الكتاب لو انزلت
هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد
لقد انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي ان علي بن الموفق حج
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال لي يا ابن الموفق حججت عني قلت نعم

يوم ج

قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيمة آخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلما ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملايكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال امير المومنين عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ومن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعا لهم ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالآثام وروي عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنا في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السما عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستماية الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهوا فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة ماية الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه فقلت اللهم قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي يا علي اتتسخى علي وانا خلقت السخا والاسخيا

انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت ومكة**

قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستماية الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملايكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورايه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ها هنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المومنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمومن بالوفا ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بماية الف وصدقة درهم بماية الف درهم وكذا كل حسنة بماية الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلث عمر يعدل حجة وفي الخبر الصحيح عمرة في رمضان تعدل حجة مشكورة مبرورة ويروى حجة معي وقال صلى الله عليه وسلم انا اول من ينشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملايكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجاء في الآثار ان الله تعالى ينظر في كل ليلة

في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طايفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نايما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاوليا قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القران من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة المقام بمكة وكراهته** كره الخايفون المحتاطون من العلما المقام بمكة لمعان ثلثة **احدها** خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يوثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه يصرف الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت **الثاني** تهييج الشوق بالمفارقة لينبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس يثوبون ويعودون اليه مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من

هل تمنع هذا القايل من شد الرحال الى قبور الانبيا مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلما والاوليا والصلحا في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلما في الحيوة من المقاصد في هذه الرحلة واما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري قد جعل جرابه على كتفيه واخذ نعليه بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يومن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وحكي عنه انه قال ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآرا فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد به الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد فيخالط بعمله الريا والتصنع **الفصل الثاني في شروط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرايط**

فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم
بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل
في الحج من الطواف والسعي وغيره واما الوقت فهو شوال وذو القعدة
وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير
هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا
على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال
عقيبه للاشتغال باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة
الاسلام فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم
الصبي او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة
وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة
وليس عليهما دم الاساءة ويشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض
الاسلام الا الوقت اما شرط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ براءة
ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام يتقدم ثم القضاء لمن افسده في
حالة الرق ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق و
كذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام
والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه
فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا
لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج واما الاستطاعة
فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب اما في نفسه فالصحة
واما في الطريق فبان [يكون] خصبة آمنة بلا بحر مخوف مخطر ولا عدو
قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه
كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة
من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر
على راحلة او كراها محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما
النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله ان يستاجر من يحج

الزاملة هو البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع

عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام بنفسه ويكفي نفقة الذهاب براحلة
في هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا
ولو عرض مالا لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيه شرف
للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير
ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان
مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه
وان لم يوص كساير ديونه ومن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك
ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج
مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه لقد هممت ان اكتب
الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير
وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم
مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج
فلم يصل عليه وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول من مات ولم يزك ولم يحج
سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما
تركت كلا قال الحج واما الاركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام
والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان
العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام
في الميقات فمن ترك الاحرام وجاوز الميقات محلا فعليه شاة
والرمي ففيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب
الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة
تجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم على
وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلثة
الاول الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا
فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة
الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع

المال صح

الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما
بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء
تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب
من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج
ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء
عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز
الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم
بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرايط احدها ان لا يكون من حاضري
المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني
ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع
الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه
وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا
ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة
او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع
الى الوطن صام العشرة تتابعا او متفرقة وبدل دم القران والتمتع سواء
والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج والعمرة
فستة الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي
ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد
ازارا فسراويل ولا باس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي
ان يغطي راسه فان حرمه في الراس وللمراة ان تلبس كل مخيط بعد
ان لا تستر وجهها بما يماسه فان حرمها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب
كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث
الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول
الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل
التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل

اي احرامه

الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة
والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا
في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس
قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان
قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد
البحر حلال ولا جزاء فيه الباب الثاني
في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل
الجملة الاولى من السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى
في المال فينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة
لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب
من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه
معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه
ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف او يكريها فان اكترى فليظهر للمكاري
كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان
يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان
جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه
فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعائهم خيرا والسنة في
الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه
وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وجنبك الردى
وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا
هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون
وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص صاف ونية
صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال
والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسالك في مسيرنا
هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسالك ان تطوي لنا الارض

العاهة آفة [illegible]

وتهوّن علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا
حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر
وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا
واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغيّر ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة
اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله
رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني
لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت
وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي وانت رجائي فاكفني ما
اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء
في كل منزل يرحل عنه الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله
والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك
انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان
على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون
اكثر سيره في الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل
ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما اشرف
على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع
وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار
وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل
وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال

اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق
فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر
ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب
ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة
لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل
افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في
كفه هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما يستثقل في النوم
فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل مما يناله من الحج والاحب
بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة
فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص
والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله
ما شاء الله لا يأتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى
سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلي
ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا
فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك
برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا من الارض في
الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد
على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية
اداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول
ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم
الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف فيسرح رأسه ولحيته ويقلم اظفاره ويقص شاربه
ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة

ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو
احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في بدنه وثيابه ولا بأس بطيب
يبقى جرمه بعد الاحرام فقد روي وبيص المسك على مفرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث
ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث راحلته ان كان راكبا او يبتدئ
بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا
او افرادا كما اراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة
ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك
لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان اراد زاد لبيك
وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية
المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء
فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين
استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك
الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت
من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي
وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك
والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي
ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام
خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود
وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه
ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا كما ورد في الحديث ولا بأس
برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك
اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد
فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا

اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة
في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة الاول ان
يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في
الحج تسعة الاول للاحرام في الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف
القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلثة اغسال
لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع
ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة وطواف
الوداع فيعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الخروج الدخول الى
اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي و
بشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني
من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح
وهي من ثنية كدا بفتح الكاف فقد عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة
الطريق اليها فالتأسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدا بضم الكاف
وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى
رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله
اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم
فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة
اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم
الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله
وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك
ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسألك في مقامي هذا في اول مناسكي
ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي

بلّغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسالك مسالة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك **السادس** ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسّه بيده اليمنى ويقبّله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرّج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة في الطواف** فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة **الاول** ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلوة ولكن الله تعالى اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها **الثاني** اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنحّ عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمرّ بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيّق اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي للطواف **الثالث** ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم

ويطوف فاوّل ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرّم لحمي ودمي على النار وآمنّي من اهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والاخرة ثم يسبّح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعند ذلك يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظمأ بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك فقد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط **الرابع** ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربع الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اوّلا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف

وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعه الزحمة اشار باليد وقبّل يده وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الاركان وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني ويقبّله ويضع خده المبارك عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو اولى اذ هو الاشهر في الرواية **الخامس** اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحّوا عني حتى اقرّ لربي بذنوبي **السادس** اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى الفاتحة وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين اسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف ليقل اللهم يسّر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف

والواجب من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيئات **الجملة الخامسة في السعي** فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب فانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من هاهنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يستقبل البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدي بالسعي وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينة حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة اذرع

الخبب في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى
الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا
ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا
حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن
في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل
ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة
للسعي وليست بواجبة بخلاف طهارة الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد
السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتأخر عن الوقوف
وانما ذلك شرط في طواف الركن نعم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف
كان **الجملة السادسة في الوقوف وما قبله** الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات
فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام
وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام
بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم
التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال
الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر
فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء
حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم الى الموقف افضل وآكد فاذا انتهى
الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك ثم
ليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة
صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها
خير غدوة غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك
غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير
مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة
وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وقعد واخذ المؤذن

في الاذان

في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ
الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين
وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي
عرنة واما مسجد ابرهيم صدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف
في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد
بصخرات كبار فرشت ثم والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام هناك صح
مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء
على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على
المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة الا بعد الغروب بل
الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء اخرى فلا ينبغي ان ينفصل من
طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان
امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال
فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر
يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة
ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي وليكن اهم اشغاله في هذا اليوم
الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى اجابة الدعوات
والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف في يوم عرفة
اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح
لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كالذي نقول
وخيرا مما نقول لك صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي
واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر
وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في
النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك

من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى
واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود وايسر منزول عليه واكرم
مسؤول ما لديه اعطني العشية افضل ما اوتيت احدا من خلقك وحجاج
بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر
الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات تسألك
الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلى اذا نسيني اهل
الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا
يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل
المشفق المعترف بذنبه اسألك مسألة المسكين وابتهل ابتهال المذنب
الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك
رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم او ذل خ
لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين
واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم لنفسي الهي اخرست
المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي
اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك
اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك اهل
ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت
عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت
وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي ان
كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت
عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما
اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي
وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير
من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد
عليه الصلوة اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني عن موقفي

هذا

هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت
الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه
الهي انت صانع العشية بعبد مقر بذنبه خاشع لك بذلة مستكين
بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل
اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه مع
كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك
يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا
واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا
ومن عذابك اشفقنا وبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج المسلمين السائلين خ
ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه
خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد
على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا انك
جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا منك الجنة
اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج
ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل
راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام
ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء
لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الانفس
بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت
المنن حتى اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الآيات
حتى افصحت السماء والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع
كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت
واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصيناك سترت واذا اذنبنا
عفوت وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا
اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك

المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك
بالوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا
بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ
من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت
ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا
ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول والتفضل
فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا
فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا
على القوم الكافرين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول
يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه
المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا
تضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع
بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المومنين والمومنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة
فان الله تعالى لا يتعاظمه شي قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم
لا ترد الجمع من اجلي وقال بكر المزني لما نظرت الى اهل عرفات
ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم **الجملة السابعة** في
بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف
فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس ينبغي ان يكون على السكينة
والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال
اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطؤا ضعيفا ولا توطؤا مسلما
فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل
وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم

الوجيف ضرب من سير الابل والخيل اي المسارعة

ان يكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف
كم رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال
ان لله تعالى عبادا يطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل **الثالث**
الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور وبالحري
ان يورث مقت الله لشرف الموضع روي عن وهيب بن
الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين
الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل
ما القى من الطائفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم
لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني
الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ
العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة
ويقال السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات
وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل
الكذب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركية
احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين
مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى ان لم يقض
حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة
وبعضهم اقام اشهرا ما وضع جنبه على الارض وللمنع من
الاقامة كره بعض العلماء المجاورة بمكة ولا تظنن ان
كراهية المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها
ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا
ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير
والتبرم اما ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات
وكيف ولما عاد عليه الصلوة والسلام الى مكة استقبل الكعبة

وقال انك لخير ارض الله تعالى واحب بلاد الله الي ولولا اني
اخرجت منك ما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة و
الحسنات فيها مضاعفة كما قدمناه **فضيلة المدينة وساير
البلاد** اما بعد مكة ليس بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
فالاعمال فيها ايضا تضاعف قال صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي
هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل
عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة
فيها بخمس مائة وكذا ساير الاعمال وروى بن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلوة
وصلوة في المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام
بماية الف صلوة وقال صلى الله عليه وسلم لم يصبر على شدتها و
لأوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع
ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له
شفيعا يوم القيمة **وما بعد هذه البقاع الثلثة** المواضع
فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى
الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور
العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها
قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها و
الحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد
المساجد الثلثة متماثلة فلا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة
الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها
على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد
الرحال الى موضع فيه مسجد ينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت
شعري

ولأوائها لو شدتها

[illegible] في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم
ان [illegible] لفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوايج موتنفة
فاجعلني [illegible] دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع
بين المغرب والعشاء [illegible] بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا له باذان و
اقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر
بعد الفريضتين [illegible] نافلة المغرب ثم نافلة العشاء كما في الفرضين
وهكذا يفعل الجامع [illegible] فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر
وتكليف ايقاعها في اوقاتها [illegible] اضرار وقطع لها [illegible] بينها وبين الفرايض
واذا جاز ان يؤدي النوافل [illegible] الفرض [illegible] بحكم التبعية فال
يجوز اداؤها على حكم الجمع [illegible] وينبغي ان [illegible] من هذا مفارقة النفل
للفرض في جواز ادائه على الراحلة كما اومانا اليه من التبعية والحاجة
ثم يبيت تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف
الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن
القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل اخذ في التاهب للرحيل
ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانه قدر
الحاجة ولا باس ان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه [illegible] وليكن الحصى
خفافا بحيث يحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس [illegible] الصبح و
لياخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام [illegible] فيقف
يدعوا الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت [illegible] والشهر
الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام
وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل
طلوع [illegible] حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى
يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في مشيه ثم اذا اصبح يوم
النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات
وهي ثلثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة

خفاف بضم الخاء للتخفيف

العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا
في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع
الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجمرة
فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول
مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم فإذا
رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من الظهر
يوم النحر إلى عقيب الصبح آخر أيام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء
بل يدعو في منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده
ونصر عبده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدي إن كان معه والأولى
أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم هذا منك وبك وإليك تقبل
مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم عليه السلام والتضحية بالبدنة أفضل ثم
بالبقرة ثم بالشاة والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة
والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الأضحية الكبش
الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء قال أبو هريرة رضي الله عنه
البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كان من هدي التطوع
ولا يضحين بالعرجاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة
والمدابرة والعجفاء والجدع في الأنف والأذن القطع منهما من فوق
والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الأذن
من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الأذن من قدام
والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي أي لا مخ لها من الهزال
ثم يحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبدأ بمقدم رأسه فيحلق
الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم
أثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة

٢٣ ١٩٠ ١٩٢

والمرأة تقصر الشعر والأصلع يستحب له أن يمر الموسى على رأسه
ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل
المحظورات إلا النساء والصيد ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه
وهذا الطواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف
الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن
يؤخر إلى أي وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الإحرام فلا تحل
له النساء إلى أن يطوف فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع
الإحرام بالكلية ولم يبق إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات
بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين
ما سبق في طواف القدوم فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفناه إن
لم يكن سعى بعد طواف القدوم وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا
فلا يسعى إن بعد السعي وأسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف
الذي هو ركن ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين
ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الأحسن
أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للإمام في هذا اليوم أن
يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففي الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة يوم
النحر وخطبة يوم النفر الأول وكلها عقيب الزوال وكلها أفراد إلا خطبة
يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة ثم إذا فرغ من الطواف عاد
إلى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن
الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد
وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي
على يمين الجادة ويرمي إليها سبع حصيات فإذا تعداها انحرف قليلا
عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلله وكبر
ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة

وخطبة يوم النحر

سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي
كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي
سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى
وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم
الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم
الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من
منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج
بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حجرا كما سبق
وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في
ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله
عظيم فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر
والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة
وإن لم يفعل فلا شيء عليه **الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها
إلى طواف الوداع** من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيف ما أراد فليغتسل
وليلبس ثياب الإحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل
مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد
مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة
وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف
سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فإذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم
بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر إلى البيت فإذا
دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم
هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى قدمي أهلا للطواف
حول بيته فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا
وإلى أين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده من غير استنابة إن

١٩٣

أمكنه وليترو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء
وسقم وارزقني الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال
صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ما يقصد به **الجملة التاسعة
في طواف الوداع** مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج
والعمرة فلينجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع
البيت ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل و
اضطباع فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم
ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد
عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك
حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك
فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي
عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا
ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني
والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني
واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل
هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني
عنه الجنة والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه
الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها قال صلى
الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي
وقال صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد إلي فقد
جفاني وقال صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي
كان حقا على الله أن أكون له شفيعا ومن قصد زيارة المدينة
فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فإذا وقع بصره
على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله
لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل

الوفد والوفادة

قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها
فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل
عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق
ويكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجد
الاول قبل ان يزاد فيه المسجد ثم ياتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف
عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر
على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل
القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله
بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام فيقف ويقول السلام عليك
يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام
عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله
السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القسم السلام
عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك
يا نذير السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد ادم السلام عليك
يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب
العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام
عليك يا سيد الامة السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا قائد الغر
المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك
الطاهرات الزاكيات امهات المومنين جزاك الله عنا افضل
وافضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون
وكلما غفل عنك الغافلون وصلى الله عليك في الاولين والاخرين

الله صح

يا طاهر السلام عليك صح

افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه كما
استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه
وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت
الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت
ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم
وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول السلام عليك
من فلان السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على ابي بكر الصديق
رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراس
عمر رضي الله عنه عند منكب ابي بكر رضي الله عنه ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم
على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين
في امته بعده بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته
فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند راس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل
القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلوة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين
به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين
بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا
بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله اخر العهد من قبر نبيك ومن
حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء
ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري روضة من

وهدانا خ

ع

خير صح

رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده
على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب
له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ويصلي الغداة في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلوة الظهر فلا تفوته
فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه
ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة لا
ويزور قبر ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قباء في كل سبت
ويصلي فيه لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته حتى
ياتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة وياتي بئر اريس يقال ان النبي
صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من
مائها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا ياتي ساير المساجد
والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا
يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الابار التي
كان صلى الله عليه وسلم يتوضا منها ويغتسل ويشرب وهي سبعة
ابار طلبا للشفا وتبركا به وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة
الحرمة فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لاوايها
وشدتها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له
شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج
من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال
السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع
مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد

فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد ولا تجعله اخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته
واصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي الى اهلي سالما يا ارحم الراحمين و
ليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتتبع
المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعا **فصل
في سنن الرجوع من السفر** كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج
او عمرة يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ايبون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
فينبغي ان يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك
الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله
من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي
ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل
ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله
فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه
فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك
علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة
متاهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت **الباب الثالث في الاداب الدقيقة
والاعمال الباطنة** بيان دقائق الاداب وهي عشرة الاول ان يكون
النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى
يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم
شعائره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان اخر الزمان خرج
الناس الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة

اللهم لا تغادر علينا حوبا

ففيه اقدامهم للمسألة وتعرضهم للشبهة وفي الخبر اشارة الى اجارة الاغراض الدنياوية التي يتصور ان تتصل بالحج وكان ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجرا بسفر الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الاخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله تعالى ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله صلى الله عليه وسلم يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة كما كانت تاخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل الجزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ منه بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد

المكس الجباية والمكاس العشار صحاح

وطيب النفس بالبذل والانفاق في غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه باشرف انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله تعالى والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القران والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشان الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تعالى والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه **الخامس** ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منى اكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي

الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق وسئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل ام يكتري بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنياء فالمشي له افضل فكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا يتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه **السادس** ان لا يركب الا زاملة اما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف من الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان **احدهما** التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه **والثاني** اجتناب زي المترفهين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج ابن يوسف وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفيان الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رايت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحاج **السابع** ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى

خ المترفين

اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاؤوني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيف ما كان على العموم فقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى الاكسية الحمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل **الثامن** ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه اثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من اذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة لكل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري قال رجل

كان ابن المبارك لحال هذا الكتاب حتى لتوصله فقال حتى أسامر الجمال فإنه
قد اكثر بيت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو
طريق الحج فيه الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا
يسيرا. التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان
يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان
واجبا قيل في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله انه تحسينه و
تسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده و
ليترك المكايسة في شرائه فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكايسة فيهن
الهدي والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروي
ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل
اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثمائة دينار قيمة
ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس
وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة
كثر العدد او قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج
والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل آدمي يوم النحر
احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها و
اظلافها فان الدم يقع من الله تعالى بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا
بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة و
انها لتوضع في الميزان فابشروا. العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من
نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال او بدن ان اصابه فان
ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله
الدرهم بسبع مائة وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل اذى

احتمله وخسران اصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله ويقال ان من علامة
قبول الحج ان يترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين
اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره

اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين
ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام
ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من
الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي
كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد
الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح
بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما تقتضيه صفاء
قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه. اما الفهم فاعلم انه لا وصول
الى الله تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار
على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع الحركات والسكنات
ولاجل هذا انفرد الرهابين في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى
قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله فتركوا لله
اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الاخرة واثنى
الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة
الله وفتروا عنه بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الاخرة
وتجديد سنة المرسلين في سلوكها سأله اهل الملل عن الرهبانية
والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير
على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم
الله سبحانه وتعالى على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم وشرف

البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا للعباد وجعل ما حواليه
حرما للبيت تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة
الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار
من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين
له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت
او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم
ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول
كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه
الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم
وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة
بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال
هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله سبحانه وتعالى فاما
ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفس ولا انس
للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر
المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه
عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه لان كل ما
ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر
وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل
ذلك في صلاة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق
بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون
في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى
معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع
والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان
تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن
اسرار التعبدات

تعالى جاؤا من كل اوب اي من كل وجهة

عز حو

وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج. اما الشوق فانما ينبعث
بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك
فقاصده قاصد الى الله تعالى وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير
بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو
النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية
في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا
تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الاخرة بالبقاء و
نزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها
بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم
فالشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان
المحب يشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى
الله تعالى فبالحري ان يشتاق اليه بمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب
لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل. واما العزم فليعلم انه بعزمه
قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها
الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم
انه عزم على امر رفيع شأنه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم
وليجعل عزمه خالصا لوجه الله بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق
انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد
بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه
باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر
ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير. واما قطع العلائق
فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي فكل
مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي
عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع
امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحي من

والاجر الجميل صح

ان يتقدم عليه قدوم العبد العاصي فيرد ذلك ولا يقبلك فان كنت راغبا
في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي
واقطع علاقة قلبك عن الالتفات لما وراءك لتكون متوجها اليه
بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم
يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء واخرا الا الطرد والرد وليقطع
العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب
وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر
عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه
على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر
واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر
واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص
على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل
بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الاخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى
وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى
معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت
الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان تكون اعماله التي هي زاده
الى الاخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات
التقصير **واما** الراحلة اذا احضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه
على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر
عنده المركب الذي يركبه الى الدار الاخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان
امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الاخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا
المركب لان يكون زادا لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه
وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل
فركوب الجنازة مقطوع به وتيسر اسباب السفر مشكوك فيه فكيف
يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل
امر سفره المستيقن

القلت الهلاك [illegible]

[illegible]

واما شراء ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي
ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه
وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت
الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله تعالى بعد
الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك
الثوب اذ ليس فيه مخيط ولا محيط كما في الكفن **واما** الخروج
من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله تعالى
في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه
وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له
الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فانقطعوا
العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم
شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا
منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول
والقبول لا ادلالا باعماله في ارتحاله ومفارقة الاهل والمال
ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج
انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه
اذ قال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه
الموت فقد وقع اجره على الله **واما** دخول البادية الى
الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من
الدنيا بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات
وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع
البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات
ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته
وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر
واما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم ان معناه اجابة

المنية [illegible]

نداء الله تعالى فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا
سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبريا
وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل
الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به
راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان
يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى
غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن
ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى
سرنا ميلا فاخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى
الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من
ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله
تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي
عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله تعالى اذ قال واذن في
الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات
القيامة مجيبين لنداء الله تعالى ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين و
مردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في
الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما** دخول مكة
فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله امنا وليرج عنده ان يامن بدخوله
من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا
مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب
رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **واما**
وقوع البصر على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب و
يقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله
النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله
تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه

واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها
كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج
الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الاخرة في شيء مما تراه
فان كل احوال الحاج دليل على احوال الاخرة **واما** الطواف بالبيت فليعلم
انه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه
في كتاب الصلاة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول
العرش الطائفين حوله ولا تظن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود
طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما
تبتدئ بالطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف
القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة
التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم
الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك
والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه
الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف
الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل
ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه
بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة
تزوره وتطوف به على ما راه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله **واما**
الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك على
الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما
يصافح الرجل اخاه **واما** التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن
نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة
ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر
الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه

للمتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه
ولا مفزع له إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل
الرحمة في المستقبل **وأما** السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت
يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى
إظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي
دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه
من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو
أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده
بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيمة وليمثل
الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين
ناظرا إلى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **وأما**
الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات و
اختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء
لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الأمم مع الأنبياء واقتفاء — والأئمة صح
كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد
والقبول وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله
فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة فالموقف
شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة
القلوب العزيزة من أوتاد الأرض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال
والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب فإذا اجتمعت هممهم
وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدت
إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على
طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة
تغمرهم ولذلك قيل إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن
الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال و

الأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق
في استدرار رحمة الله تعالى مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على
صعيد واحد **وأما** رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق
والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد
به التشبه بإبرهيم صلوات الله عليه حيث عرض له إبليس في ذلك الموضع
ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله تعالى أن يرميه
بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فإن خطر لك أن الشيطان عرض له
وشاهده فلذلك رماه وأما فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا — أنا صح
الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي
ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده
عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك في
الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان
وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله تعالى
تعظيما بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه **وأما** ذبح الهدي
فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال وأكمل الهدي وأجزاءه وارج
أن يعتق بكل جزء منها جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان
الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم **فأما** زيارة
المدينة فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله
عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل إليها هجرته وأنها داره التي فيها شرع
فرائض ربه وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله تعالى
ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك
مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تردداته فيها وأنه ما من
موضع قدم تطؤه إلا وهو موطئ قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه إلا على سكينة
ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي
وما استودع الله من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه

وإحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر
ما منّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع
كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه ثم اذكر أنه
قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر وأنك ربما
لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه وسلم
يرفع إلي أقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري
ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة
من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك
رجاؤك أن لا يحول الله بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان به وأشخصك من
وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له
وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر
لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما أجدرك أن ينظر الله إليك بعين الرحمة فإذا
بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول
المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله تعالى أول ما أقيمت في تلك العرصة
وأنها جمعت أفضل خلق الله تعالى حيا وميتا فليعظم أملك في الله أن يرحمك بدخولك
إياها فادخلها خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من
قلب كل مؤمن كما حكي عن أبي سليمان أنه قال حج أويس القرني ودخل المدينة
فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما
أفاق قال أخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد فيه مدفون **وأما** زيارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره
حيا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا
وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا
بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود
واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلوتك فمثل
صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بإزائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك

يوشك أن لا يسلم له فرائضه من غير جابر **السادسة** الوتر قال أنس بن
مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلث ركعات يقرأ
في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة
قل هو الله أحد وجاء في خبر أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الوتر
جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الأخبار إذا أراد أن يدخل
إلى فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما
إذا زلزلت وسورة ألهيكم التكاثر وفي رواية أخرى قل يا أيها الكافرون
ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد
أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بركعة وبثلث وخمس وهكذا بالأوتار
إلى إحدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة وفي حديث شاذ
سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات أعني ما سميناه جملتها وترا
صلوته صلى الله عليه وسلم بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة
وسيأتي فضلها في كتاب الأوراد وفي الأفضل خلاف فقيل إن الإيتار — ذكره صح
بركعة فردة أفضل إذ صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الإيتار
بركعة فردة وقيل الموصول أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما
للإمام إذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فإن صلى موصولا نوى
بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد
فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وترا
وأن يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل
العشاء لم يصح أي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم
كما ورد به الخبر وإلا فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان وإنما لم
يصح لأنه خرق إجماع الخلق في الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به
وترا فأما إذا أراد أن يوتر بثلثة مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر
فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وإن
نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وإنما الوتر ما بعده ولكن الأظهر

انه ان ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصول الوتر ولكن للوتر معنيان
احدهما ان يكون في نفسه وترا والآخر ان يصير الاول وترا بما بعده فيكون
مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة الثلثة الا ان وتريته موقوفة
على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوي
به الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان
لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما
والوتر ينبغي ان يكون آخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي فضائل
الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد **السابعة**
صلوة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها
فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات روت ام هانئ اخت علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها فاما عائشة
رضي الله عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما
شاء الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربعة ولا ينقص منه وقد
يزيد زيادات وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى
ست ركعات واما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى
ستا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني
من اوراد النهار كما سيأتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق
صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار
ربعه بازاء صلوة العصر فان وقتها ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار
ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين
الزوال الى الغروب وهذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال
وقت الضحى على الجملة **الثامنة** احياء ما بين العشائين سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعله ٤٥
صلى الله عليه وسلم بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلوة فضل عظيم وقيل انها المراد
بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين
المغرب والعشاء فانها من صلوة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب

والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له
قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه
اهل الدنيا لوسعهم وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى **القسم
الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل
ليلة اما الايام فنبدأ فيها بيوم **الاحد** روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول
مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة
وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلوة واعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك
اذفر وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلوة يوم
الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلوة الظهر اربع
ركعات بعد الفريضة والسنة قرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة
وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين
اخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله حاجته كان حقا
على الله ان يقضي حاجته **يوم الاثنين** روى جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة
وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات
وصلى على النبي عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة
فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة
واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ
ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة و
يستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور
يتلألأ **يوم الثلثاء** روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع
النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلث مرات

لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما كان شهيدا
وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء** روى ابو ادريس الخولاني عن
معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي
عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي
مرة وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش
يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب
القبر وضيقه وظلمته ورفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي **يوم
الخميس** عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس
بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة
مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة
اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان وشهر رمضان وكان له من الثواب مثل حاج
البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روى علي بن
ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلوة كله ما من عبد مؤمن
قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضأ ثم اسبغ الوضوء
فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه
مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى
ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي
عشرة ركعة كتب الله له الفين ومائتي حسنة ومحا عنه الفين ومائتي سيئة ورفع له
في الجنة الفين ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من
دخل الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلوة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله
احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت**
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع
ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا
فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر
سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل

قال الازهري السبحة والتسبيح يقعان على النافلة والمكتوبة

عرش الله مع النبيين والشهداء **اما الليالي** فقد روى انس بن مالك في ليلة الاحد
انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة
الحمد لله مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله
مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي مائة مرة وتبرأ
من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله
ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه
الله يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين**
روى الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين
اربع ركعات يقرأ في الركعة الاولى الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة
الثانية الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد
ثلثين مرة وفي الرابعة الحمد مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة
واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم خمسا
وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله ما سأل وهي تسمى
صلوة الحاجة **ليلة الثلثاء** يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد
والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي و
يستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعاء** روت فاطمة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاربعاء ست ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة
قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلوته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا
عنا ما هو اهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار **ليلة الخميس**
قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات
والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه
فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء
ليلة الجمعة قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب

والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله
احد عشر مرات فكانما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صام نهارها
وقام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة
صلوة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدها
عشر ركعات ثم قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين
مرة مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى
القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة
علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت**
قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت بين المغرب
والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل
مومن ومومنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم
الثالث ما يتكرر بتكرر السنين** وهي اربعة صلوة العيدين
والتراويح وصلوة رجب وصلوة ليلة نصف من شعبان **الاولى
صلوة العيدين** وهي سنة موكدة وشعار من شعاير الدين وينبغي ان يراعى
فيه سبعة امور **الاول** التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر الى الشروع في صلوة
العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر
النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات
المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرايض آكد **الثاني** اذا اصبح
يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء
والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير و
العجايز التزين عند الخروج **الثالث** ان يخرج من طريق ويرجع من طريق
آخر هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامر باخراج العواتق وذوات الخدور **الرابع** المستحب الخروج الى

الغراء مونث الاغر

الصحراء الا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا باس بالصلوة
في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة
في المسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين **الخامس** يراعي الوقت فوقت العيد ما بين
طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر
ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل
صلوة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلوة الفطر لاجل تفريق صدقة
الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلوة
فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم
يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي المنادي الصلوة جامعة ويصلي
الامام ركعتين ويكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع
تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة
الى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في
الثانية والتكبيرات الزايدة في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام
والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم خطب خطبتين بينهما جلسة
ومن فاتته صلوة العيد قضاها **السابعة** ان يضحي بكبش ضحى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر
هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من رأى هلال ذي الحجة
واراد ان يضحي فلا ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو
ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من الاضحية
بعد ثلثة ايام فما فوق ذلك وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه
وقال سفيان الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنتي
عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة
الثانية في التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة

موكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل
ام الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلثا للجماعة
ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس
عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي
فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر ولان للاجتماع بركة وله
فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند
مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من
الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى
ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا
ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلوة
التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في
المسجد على صلوته في البيت وروي انه قال صلى الله عليه وسلم صلوة
في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة في غيره من المساجد وصلوة
في المسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي وافضل من ذلك كله
رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع
ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه **والمختار**
ان الجماعة افضل كما رآه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة
وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر واما الالتفات
الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر
في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلوة خير
من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة
فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما
افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص
وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على
الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف

الاخير من شهر رمضان **اما صلوة رجب** فقد روي بالاسناد عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم
يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين
بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر
ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلوته صلى
علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله
ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة
والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول
فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته في سجوده
فانها تقضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلوة
الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل
ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبع مائة من
اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلوة مستحبة وانما
اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا يبلغ
رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوة نقلها الآحاد
ولكني رأيت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها
فاحببت ايرادها **اما صلوة شعبان** فليلة الخامس عشر منه يصلي
مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد
عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة
مرة قل هو الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان
السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلوة صلوة الخير
ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روي عن الحسن البصري رحمه الله
انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه
الصلوة في هذه الليلة نظر الله تعالى اليه سبعين نظرة قضى له بكل

نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة **القسم الرابع من النوافل** ما يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء و
تحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند
الخروج من المنزل والدخول فيه ونظاير ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن
الاولى صلوة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
ان الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته
فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلوة قال ذلك لما مات ولده
ابرهيم فكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها
ووقتها اما الكيفية فاذا خسفت الشمس في وقت مكروه او غير
مكروه نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين
وركع في كل ركعة ركوعين اوايلها اطول من اواخرها ولا يجهر فيقرأ
في الاولى من قيامي الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة
وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة
والمائدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على
الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود
التطويل دوام الصلوة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر ماية
آية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن
السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة
ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه
يجهر فيها لانها ليلية اما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج
وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس
اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان
القمر وان انجلى في اثناء الصلوة اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام
فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول **الثانية صلوة الاستسقاء**
فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام

باسباب عارضة ولا يتعلق

صلوة

فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه
سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق
الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقايه واكتفى بمشاهدة مشهده
الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه
فكيف في الحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم
وتوهم صعوده الى المنبر وتمثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر
وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله بخطبته
وسل الله ان لا يفرق في القيمة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في اعمال
الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس
يدري أقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه والحق بالمطرودين
وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا
عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت
بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن
احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس
فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان
يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله والحمد لله وحده و
صلواته على محمد المصطفى المبعوث الى الخلق بالرسالة الصادع
بالدلالة وسلم وعلى آله وصحبه اجمعين وعلى ساير النبيين والمرسلين
انه ارحم الراحمين تم كتاب اسرار الحج ومهاتيه في اواخر ربيع الاول
لسبع عشرة وسبعمايه كتب لحاله عبد الله الدين علي ابا بانا

كتاب آداب تلاوة القرآن وهو الكتاب الثامن من كتب احياء علوم الدين

ربنا زدنا علما نافعا والحقنا بالصالحين وصل على محمد وآله اجمعين

الصدع الشق اراد
منه فاصدع بما
تؤمر ... مراح

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم
وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من
القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط
المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو
الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور
من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره
اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى
والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير
لا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه ولا يحيط بفوايده عند
اهل العلم تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد
هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان
ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق
ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال الله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في
القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام
بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة
والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وينكشف
مقاصده في اربعة ابواب **الباب الاول** في فضل القرآن
واهله **الباب الثاني** في آداب التلاوة في الظاهر **الباب
الثالث** في الاعمال الباطنة عند التلاوة **الباب الرابع** في
فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره **الباب الاول في فضل القرآن
واهله وذم المقصرين في تلاوته** **فضيلة القرآن**

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل
مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من
شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك
ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته
النار وقال صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن
وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل
ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملايكة القرآن قالت طوبى لامة
ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا
وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال صلى
الله عليه وسلم يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسالتي
اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم
القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب
حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل
وأم به قوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل
الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ
كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله فما جلاؤها فقال تلاوة القرآن
وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ
القرآن من صاحب القينة الى قينته **الآثار** قال ابو امامة
الباهلي اقرؤا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله تعالى
لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم
فأثيروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرؤا القرآن
فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول
الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا
لا يسال احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه
فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله
ورسوله

القينة عند
العرب الامة
كانت مغنية
وعند العامة
القينة المغنية
لا يعرفون غيرها
شرح الغرايب

فهو الايات ... فعلى هذا ... الكثير على معنى ... والقراءة عبارة عن التبليغ ... عبارة عن الاشاعة فلا يبعد على هذا ما روي من الاذن ... شرح الغرايب

وقال عمرو بن العاص القرآن درجة في الجنة ومصابيح في بيوتكم وقال ايضا
من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه
وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله
وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت
الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره و
خرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رايت
الله تعالى في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون
اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم
وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من
الرحمن عز وجل يوم القيامة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل
بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى
الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا
حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو
ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال
سفيان الثوري اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال
عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع
الله تعالى له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ علي القرآن فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان
له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما هذا بقول بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده
من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات
من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته
ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ما هاهنا
احد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال

علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن
البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن ما قيل في ذم تلاوة
الغافلين قال انس بن مالك رضي الله عنه رب تال للقرآن والقرآن
يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر
وقال ابو سليمان الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن
الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا
الله بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم
خلط ثم عاد يقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت
على استظهاري القرآن لانه بلغني ان اصحاب القرآن
يسألون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود رضي الله عنه
ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذا
الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس
يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس
يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له
ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال
عليه السلام اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال اقرأ القرآن
ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقرأه وقال بعض السلف ان العبد
ليفتتح سورة فتصلي عليه حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح
سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا احل
حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان
العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ الا لعنة
الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين
وهو منهم وقال الحسن رضي الله عنه انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل
وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان
من كان قبلكم راوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل

فينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود انزل القرآن عليهم ليعملوا به
فاتخذوا دراسته عملا ان احدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته
ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب
لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة
على محمد فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان
يقف عنده منها ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان
فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا
ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة
يا عبدي اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق
تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفا
حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر
كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله
وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض
اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه
بكل وجهك وتصغي الى حديثه او كانك اليه ان تكلم وها انا ذا
مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني
افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك الباب الثاني
في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة الاول في حال القارئ
وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون
اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه غير متربع
ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده
كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في
الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من افضل الاعمال
وان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله
ايضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون

الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام في
الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من قرأ
القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو
جالس في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلوة وهو
على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان
من القيام بالليل فهو افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري ان كثرة
السجود بالنهار وان طول القيام بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء
عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من يختم في اليوم والليلة
مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من يختم في الشهر مرة
واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة
عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ القرآن
هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن عمر ان يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة
يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن
كعب رضي الله عنهم ففي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه
جماعة والختم في شهر كل يوم جزء من ثلثين وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان
الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع مرة
والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل
وختمة بالنهار ويجعل ختمته بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويجعل
ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمتيه اول
النهار واول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان ختمه ليلا حتى يصبح وان
كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار
القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص
عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر

أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن
كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته إلى
كثرة الترديد والتأمل. الثالث في وجه القسمة أما من ختم في الأسبوع
مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة القرآن أحزاباً
فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة وليلة
السبت بالأنعام إلى هود وليلة الأحد بيوسف إلى مريم وليلة الاثنين
بطه إلى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص وليلة الأربعاء
بتنزيل إلى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه سبعة أقسام
لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور
والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور
والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل
من ق فهكذا حزبه الصحابة وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن عملت الأخماس والعواشر والأجزاء
فما سوى هذا محدث. الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه
ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصد عن
اللحن والخطأ لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس
والعواشر والأجزاء وروي عن الشعبي وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة
وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم
كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً
للباب وتشوقاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً وإذا لم يؤد
وإذا لم يؤد الأمر إلى محذور واستقر الأمر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة
فلا بأس به ولا يمنع منه كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في إقامة
الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر وإنها بدعة حسنة إنما البدعة
المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها وبعضهم
كان يقول أقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير

كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء
والتاء وقالوا لا بأس به فإنه نور له ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند
منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك
الخواتم والفواتح قال أبو بكر الهذلي سألت الحسن عن تنقيط
المصاحف بالأحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية
قال أما إعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على
ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل
إن الحجاج هو الذي أحدث ذلك في زمانه وأحضر القراء حتى عدوا
كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى
أقسام أخر. الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة لأنا
سنبين أن المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك
نعتت أم سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعت قراءة
مفسرة حرفاً حرفاً وقال ابن عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران
أرتلهما وأتدبرهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة
وقال أيضاً لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلي
من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً وسئل مجاهد عن رجلين
دخلا في صلاة فكان قيامهما واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط
وقرأ الآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل
مستحب لا لمجرد التدبر فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب
له أيضاً في القراءة الترتيل والتؤدة لأن ذلك أقرب إلى التوقير
والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال. السادس
البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن
وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن وقال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس

التهذير بانگ کردن
اشتر کش

إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك
عين أحدكم فليبك قلبه وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن
فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم إن القرآن نزل بحزن
فإذا قرأتموه فتحازنوا ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من
التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره
وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما
يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فإن
ذلك أعظم المصائب. السابع أن يراعي حق الآيات فإذا مر بآية سجدة
سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان
على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص
سجدة وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض وأكمله أن يكبر فيسجد
ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى
خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من
المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك وإذا قرأ قوله ويخرون للأذقان
يبكون ويزيدهم خشوعاً فليقل اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين لك
وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من
ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن
على الطهارة عند السماع فإذا تطهر سجد وقد قيل في كمالها إنه يكبر
رافعاً يديه لتحريمه ثم يكبر للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد
ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فإنه ورد الأمر بالسجود
فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوي أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه
بعد ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة
نفسه. الثامن أن يقول في ابتداء قراءته أعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن

أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من
المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين
في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب إخراج الدواب
لمشاركتهم في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع ومشايخ ركع
وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً ولو خرج أهل الذمة متميزين لم يمنعوا
فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى
بهم الإمام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية أن يستدبر
الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال
هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على
الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة
سراً ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها مع
الثياب ويقول في الدعاء اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك
كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا وإجابتك في سقيانا
وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج
ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك
في كتاب الدعوات. الثالثة صلاة الجنائز وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء
مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه
وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى
الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً
خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف
تمنيت أن أكون ذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة فينبغي أن يراعي
ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الإمام فإذا سلم الإمام قضى تكبيرة الذي فاته
كفعل المسبوق فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات هي الأركان

الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في ساير الصلوات هذا هو
الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة
الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها الكتاب وكيف لا يعظم
فضلها وهي من فرايض الكفايات وانما يصير نفلا في حق من لم يتعين
عليه بحضور غيره ثم يناله به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم
قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج من غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به
فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية
واشتماله على ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس
انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت
فاذا ناس قد اجتمعوا اليه فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت نعم
قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم
يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم
الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتدا فقال السلام
على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا و
المستاخرين وانا ان شا الله بكم لاحقون والاحسن لمن شيع الجنازة فالاولى
ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه
وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض
عن جنبيه وافتح ابواب السما لروحه وتقبله منا بقبول حسن اللهم
ان كان محسنا فضاعف له في حسناته وان كان مسيا فتجاوز عنه
الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة موكدة حتى انها
لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغا
الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادى به التحية وحصل
الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصة
بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء
فان دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر

ماز فوق

يحضرون ليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه
من كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به
وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين استغفر الله الحي القيوم وفي اثنا القراءة
اذا مر باية تسبيح سبح وكبر وان مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر
وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه
فيقول سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا
وقال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدا سورة البقرة
فكان لا يمر باية عذاب الا استعاذ ولا باية رحمة الا سال ولا باية تنزيه
الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند ختم القران اللهم
ارحمني بالقران واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه
ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آنا الليل واطراف النهار واجعله
حجة لي يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك انه لا بد ان
يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت
بالحروف ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح
صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر
ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل
قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية
وفي لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة
وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك
قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على
بعض في القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته
وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض
من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد
صوته وقال ايها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك

واطرافه

وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت عمر
وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه فانصرف وهو يومئذ امير المدينة
ويدل على استحباب الجهر ما روي انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من
اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار
يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته ومر صلى الله عليه وسلم على ثلثة
من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن
ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمع ومر على عمر وهو يجهر فساله
عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال
وهو يقرا آيا من هذه السورة وآيا من هذه فساله عن ذلك فقال
اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه
في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو
افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في
الجهر ما يشوش الوقت على مصل اخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فايدته
تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ
قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد
النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله
ولانه يرجو بجهره تيقظ نايم فيكون هو سبب احيايه ولانه قد يراه
بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما
حضره شي من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات
تضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكوا عمل الابرار وتتضاعف
اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة اجور
ولهذا نقول قراءة القران في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر
وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه وقد قيل الختمة
من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وخرق

عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة
يقراون من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف
ودخل بعض فقها مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه
المصحف فقال شغلكم الفقه عن القران اني لاصلي العتمة واضع
المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح العاشر تحسين القراءة
وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة
قال صلى الله عليه وسلم زينوا القران باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم
ما اذن الله لشي اذنه لحسن الصوت بالقران وقال ليس منا من لم يتغن
بالقران فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان
به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر
عايشة رضي الله عنها فابطات عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت
استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى
استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي
جعل في امتي مثله واستمع ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا
كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود اقرا علي فقال يا رسول الله اقرا وعليك انزل فقال اني احب
ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان
واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي
هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو كنت
اعلم انك كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا وراى هيثم القاري النبي صلى الله عليه وسلم
في منامه فقال لي انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك قلت نعم قال جزاك الله
خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم
ان يقرا سورة من القران وقد كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرا
عنده حتى يكاد وقت الصلوة ان يتوسط فيقال يا امير المومنين الصلوة الصلوة

مقول او لسان في صلوة اشارة الى هو له تعالى ولذكر الله اكبر
وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل
كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما
عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا
في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع الباب الثالث
في الاعمال الباطنة في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام
ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع
الفهم ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة
الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش
جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال
معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه
وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات
البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا
بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف
لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة
سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى صلوات الله عليه
لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار
دكا دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق
ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تعالى
في اللوح المحفوظ اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف
الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه
فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك
فاستعمله به ولقد تانق بعض الحكما في التعبير عن وجه اللطف في
ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور
رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك

الى شريعة الانبيا وساله الملك عن امور واجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك
ارايت ما ياتي به الانبيا اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه
كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا
الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من
تقديمها وتاخيرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها
عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع
نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن
البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات
القريبة من اصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن
حمل كلام الله تعالى بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات
التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من
الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من ان يشرف الكلام
اي الاصوات لشرفها ويعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا
ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز
لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها
والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق
والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا طاقة للباطل
ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع
الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا
بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيا به ابصارهم
ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه
الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة
التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن
النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودوا
الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة

من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا يليق بعلم المعاملة فينبغي
ان يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية
بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم
ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله تعالى
غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان
ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس
الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا
بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح
لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم
كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو
كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره
عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وافعاله فاذا خطر بباله العرش
والكرسي والسموات والارضين وما بينهما من الجن والانس والدواب
والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد
وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته
ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هولا في الجنة
ولا ابالي وهولا في النار ولا ابالي وهذه غاية العظم والتعالي فبالتفكر
في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور
القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة
اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراته منصرف
الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القران تحدث نفسك
بشيء فقال او شيء احب الي من القران احدث به نفسي وكان
بعض السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية
وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي

يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما يستانس
به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره
وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في
غيرها فقد قيل ان في القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج و
رياضا وخانات فالميمات ميادين القران والراات بساتين
القران والحامات مقاصيره والمسبحات عرائس القران
والحاميمات ديابيج القران والمفصل رياضه والخانات ما
سوى ذلك فاذا دخل القاري في الميادين وقطف من البساتين
ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب
قلبه ولم يتفرق فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه
قد لا يتفكر في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو
لا يتدبره والمقصود من القراة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل
لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن واذا لم يتمكن من التدبر
الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية
وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة
واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح
الركوع وهو متفكر في آية قراها فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن
عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا
فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل
قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا
وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله
بمهم ديني لكي يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن رضي الله عنه
فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا

والحاميمات والخانات

قال علي رضي الله عنه لا خير
في عبادة لا فقه
فيها ولا في قراءة
لا تدبر فيها ح

وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها
عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وعن ابي ذر انه صلى الله عليه
وسلم قام بنا ليلة فقام باية يرددها ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم الاية وقام تميم الداري ليلة بهذه الاية ام حسب الذين اجترحوا
السيئات الاية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد قوله وامتازوا اليوم ايها
المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها
عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا افهمها
ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني
انه قال اني لاتلو الاية فاقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع
الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة
هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي
في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ
ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه
وكان هذا يقول اقمت نفسي مقام الاجراء فانا اعمل مياومة و
مشاهرة ومجامعة ومسانهة **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح من كل
اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر افعاله
وذكر احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم انهم كيف اهلكوا وذكر
اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار **اما** صفات الله فكقوله ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن العزيز المهيمن صح
الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها
فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي رضي الله عنه
بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه عن الناس الا ان
يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم
قال ابن مسعود من اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم
القران تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة

بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها **واما** افعاله فكذكره خلق السموات و
الارض وغيرها فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل
على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل
دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه
وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه
ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله تعالى باطل وان كل شيء
هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الان باطل ان
اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود
بالله تعالى وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق
الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادي علم المكاشفة
ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله افرأيتم ما تمنون افرأيتم ما تحرثون
افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون ان لا يقصر
نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتامل في المني وهي
نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم و
العظم والعرق والعصب وكيفية تشكل اعضائها بالاشكال
المختلفة من الراس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر
فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيره ثم الى
ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر و
الجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل في هذه العجائب ليترقى منها الى
عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر
الى الصنعة فيرى الصانع **واما** احوال الانبياء فاذا سمع منها
انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله
عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع
نصرتهم في اخر الامر فليفهم قدرة الله تعالى وارادته لنصرة الحق **واما** احوال

المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف
من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان
غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه
القضية وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القران فلا يمكن
استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر
رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين
بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب والغرض مما ذكرناه التنبيه على
طريق التفهم لينفتح بابه **فاما** الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن
له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا
قال انفا فقال الله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطابع
هو الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى
يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني
بالمولى عن العبيد **السادس** التخلي عن موانع الفهم فان اكثر
الناس منعوا عن فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان
على قلوبهم فعميت عليهم عجائب اسرار القران قال صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت
ومعاني القران من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك
الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة **اولها** ان يكون
الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى
حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله تعالى
فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه
فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني

واعظم ضحكة الشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس **ثانيها**
ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه
التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة و
مشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه
من ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان
لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل
عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف
معتقد ابائك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه ويحترز
عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم
العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات
جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم
الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون
حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا
كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له
مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده
من ان يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان
وثالث ورابع ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته في
نفسه تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم
والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات
وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع
من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن
والظاهر في كتاب قواعد العقائد **ثالثها** ان يكون مصرا على
ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع
فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة
فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه

يحجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معاني
الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا
قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل
الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة
والرياضة للقلب بإماطة الشهوات عنه مثل تصقيل
الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي
الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر
بالمعروف حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم
القرآن وقد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكر فقال
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر إلا من ينيب
وقال إنما يتذكر أولوا الألباب فالذي آثر غرور الدنيا على
نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب ولذلك لا ينكشف له
أسرار الكتاب رابعها أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا
واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل
عن ابن عباس ومجاهد وغيره وأن ما وراء ذلك تفسير
بالرأي وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من
النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي
في الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتي
الله العبد فهما في القرآن وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول
لما اختلف الناس فيه السابع التخصيص وهو أن يقدر أنه
المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه
المنهي والمأمور وإن سمع وعدا ووعيدا فكمثله وإن سمع قصص
الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود وإنما
المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من
قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صلى الله
عليه وسلم

تضاعيف الشيء أثناؤه

وآله ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد
أن الله يثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء
وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله
وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله لرسول
الله خاصة بل شفاء وهدى ورحمة ونورا للعالمين ولذلك
أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا
نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال
ولقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم وأنزلنا إليك الذكر لتبين
للناس ما نزل إليهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم واتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة
لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين
وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد
القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر أنه المقصود
وقال تعالى وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ
قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز
وجل وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل قرأه
كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله
ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل
أتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف
عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات
وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل
القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض
وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو
نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين إلا خسارا الثامن التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار

مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد
يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت
معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فإن التضييق غالب
على آيات القرآن ولا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط
يقصر العارف عن نيلها كقوله وإني لغفار ثم أتبع ذلك بأربع شروط
لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر إن الإنسان
لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر ذكر أربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال
إن رحمة الله قريب من المحسنين فالإحسان يجمع الكل وهكذا من
يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله
الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو
هذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل
ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن
الورد نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق
للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره
فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد
وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت
وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند
ذكر صفات الله تعالى وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا
لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا
وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم
وعند وصف الجنة ينبعث نشاطه شوقا إليها وعند وصف النار
ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود اقرأ علي قال افتتحت سورة النساء فلما بلغت
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا

الذريف والذروف [illegible]

رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لأن
مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من
خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا في كلامه فإذا قال
إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإذا لم يكن
خائفا كان حاكيا وإذا قال عليك توكلنا وإليك أنبنا
ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكيا وإذا قرأ ولنصبرن
على ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى
يجد حلاوة التلاوة فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد
قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة
اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى ألا لعنة
الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله أن
تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون
وفي قوله فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة
الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون إلى غير
ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله ومنهم أميون
لا يعلمون الكتاب إلا أماني يعني إلا التلاوة المجردة وفي قوله
وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها
معرضون لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات
والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك
قيل إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن
ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع
عنك كلامي إن لم تتب إلي ومثال العاصي إذا قرأ القرآن
وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه
في عمارة مملكته وهو مشتغل بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه

الحكاية في قوله [illegible] حكايت كردن و حكايت الكلام [illegible]

فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد من الاستهزاء والاستحقاق للمقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم ايضا لا يسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل والقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب وللعمل به والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف في اثنين منهم وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال يكفيني هذا وانصرف فقال صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه فاما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله بها على قلب المؤمن عقيب الآية فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله ومن اعرض عن ذكري

فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث ادناها ان يقدر العبد كأنه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه فقال والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت

ان يشترط

الايثار بالتذكير [illegible] فرمان فاز [illegible]

التبرية اندوه وابدن بعاله شرى عنه

الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله العاشر التبري واعني به ان يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضى والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة المقصرين في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت

قال سليمان بن ابي سليمان الداراني وعد ابو ثوبان لاخ له ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما

وسائر المفسرين ذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير
فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فما معنى
قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من
النار فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه
ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده و
محطه بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا
لأرباب الفهم قال علي رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن
فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم
إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى أيضا عن ابن
مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد
والمطلع وقال علي لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه
الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف
فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم
ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعا إذ لكل كلمة ظاهر
وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيه وإلا فترجمته وتفسيره
ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكريره وقول ابن مسعود من أراد علم الأولين
والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة
فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته
وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى
مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر
التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل على النظار واختلف فيه الخلائق
في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز إليه ودلالات عليه يختص أهل

راجع صح

الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على
اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك
فعليكم بكتاب الله تعالى فإن فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم
وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى العلم
في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث
وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف
والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك
قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فأعدت
عليه ثلاثا تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي الله عنه
من فهم القرآن فسر جمل العلم أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع
العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكما وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم
الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الأمور تدل على أن في
فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأن المنقول من ظاهر
التفسير ليس منتهى الإدراك فيه فأما قوله صلى الله عليه وسلم من
فسر القرآن برأيه ونهيه عنه وقول أبي بكر أي أرض تقلني وأي
سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي إلى غير ذلك مما ورد في الآثار
والأخبار من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو إما أن يكون
المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط و
الاستقلال بالفهم أو المراد به أمر آخر وباطل قطعا أن يكون المراد به

فقال ثلاثا صح

أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه أحدها أنه يشترط
أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومسندا إليه وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن فأما ما يقول
ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير
بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله وكذا غيرهم من الصحابة
والثاني أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات
فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله
محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع
أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا
في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل فقيل إن الر هي حروف
من الرحمن وقيل إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم و
قيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا
والثالث أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل فإذا كان التأويل مسموعا كالتنزيل أو محفوظا
مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع أنه قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم أثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من
الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع
في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله
وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين أحدهما أن يكون له في الشيء
رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه
وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى
لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم
كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه
ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع
الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي

يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر
برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه
لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة يكون له غرض صحيح
فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد
به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم
تسحروا فإن في السحور بركة ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو
يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي
فيقول قال الله تعالى اذهب إلى فرعون إنه طغى ويشير إلى قلبه و
يومئ إلى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ
في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو
ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس
ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم
ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنه غير مراد به فهذه الفنون
أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي فيكون المراد بالرأي
الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح
والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص
باسم الرأي الوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر
العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب
القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيها من
الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم
ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية
كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي فالنقل والسماع
لا بد منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ثم
بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم
إلا بالسماع كثيرة ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها

على الصبا لها وتعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا تطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة ومنها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحيوة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله وسل القرية التي كنا فيها والعير اي الاهل فالاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق له ذكر وقال حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية

ومنها المنقول المنقلب كقوله وطور سينين اي طور سيناء وسلام على آل ياسين اي على الياسين وقيل ادريس لان في حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم معناه للذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسألونك كأنك حفي عنها اي يسألونك عنها كأنك حفي وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت انفال الغنائم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره وقوله حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه

ومن هذا النوع صح

ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء اراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدي العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق وربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شيئا الا من شيء وقوله وقال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة

فتطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبياء كقوله نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابراهيم كان امة والامة الدين كقوله انا وجدنا آباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله الى امة معدودة وقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد والروح ايضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا به الماء يعني بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء وامثال هذا في القرآن لا تنحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اذ لم يظهر به انه ليلا او نهارا وبان بقوله انا انزلناه في ليلة مباركة ولم يظهر انه اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في ليلة القدر وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل ان يفهم الامة بالمعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه الى ما سمعه من شهرة معناه وترك تتبع النقل

في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقه محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فينفد البحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض ارباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي

ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فإن الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناءً عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تنفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم

كتاب الأذكار والدعوات
وهو الكتاب التاسع من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل رأفته العام رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره تعالى فاذكروني أذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم كثيراً **أما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة أو الاستعاذة أو غيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة **الباب الأول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً **الباب الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الباب الثالث** في أدعية مأثورة معزية إلى أصحابها **الباب الرابع** في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية المأثورة **الباب الخامس** في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول
في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

فيدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني إني أعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكراً كثيراً وقال تعالى فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً وقال تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وقال تعالى فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم قال ابن عباس أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلاً وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس له وجهان **أحدهما** أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه **والآخر** أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات **وأما الأخبار** فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلى الله عليه وسلم الذاكر في الغافلين كالحي بين الأموات وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلي هرولت إليه يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ومن جملتهم رجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه من خشية الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين **وأما الآثار**

فقد قال الفضيل بلغنا أن الله تعالى قال ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء إن الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله تعالى ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر** قال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضاً ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود عليه السلام إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة إذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك وعن أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوماً

يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن قال فذاك مهران محمد صلى الله عليه وسلم
وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا
عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى
بغيتكم فيجيئون ويحفون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله تبارك
وتعالى على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك
ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني
فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي
شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف
لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد منها هربا وأشد منها خوفا فيقول وأي
شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها
فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول فإني أشهدكم أني قد
غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول
هم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة التهليل** قال صلى الله عليه وسلم
أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له
عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة
وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما
جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من
توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة
يدخل من أيها شاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله
إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور كأني أنظر إلى أهل لا إله إلا الله
عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا

الحزن إن ربنا لغفور شكور وقال أيضا صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة
يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن
لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها
صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله
إلا الله أرجح من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا إله إلا الله
صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة
لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله
هذا للموتى فكيف للأحياء فقال هي أهدم وأهدم وقال صلى الله عليه وسلم من قال
لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة وقال لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى و
شرد على الله شرود البعير على أهله فقال يا رسول الله من الذي يأبى
قال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال
بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الإخلاص وهي كلمة التقوى وهي
الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة قال الله
عز وجل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فعل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله
وفي الآخرة الجنة وكذا قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وللترمذي عن [illegible]
أنه قال صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة أو نسمة وروى
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في يوم مائة
مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير لم يسبقه
أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله وقال صلى الله عليه وسلم
من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحيت عنه
ألف ألف سيئة وبني له بيت في الجنة وروى أن العبد إذا قال لا إله
إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة
مثلها فتجلس إلى جنبها وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم

روى م

النسمة ... النفس ... ومنها أعتق النسمة ... بارئ النسم

أي استيقظ

أنه قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل وفي الصحيح
أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من
الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال
اللهم اغفر لي أو أي دعاء دعا استجيب له فإن توضأ قبلت صلاته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار قال صلى الله عليه وسلم
من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وختم
المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال صلى الله عليه وسلم من قال
سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر
وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا و
قلت ذات يدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة
وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال قلت وماذا يا رسول الله قال قل سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر
إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة
ملكا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم إذا قال
العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض وإذا قال الحمد لله الثانية ملأت
ما بين السماء السابعة إلى الأرض وإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل
تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك
الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله عن صلاته فقال
رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول وقال صلى الله عليه وسلم
الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر
والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الأرض

الزرقي

رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة
إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى
النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذي تذكرون من جلال الله
وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي
النحل تذكر بصاحبهن أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله يذكر به
وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لأن أقول سبحان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية
وزاد ولا حول ولا قوة إلا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله
عليه وسلم أحب الكلام إلى الله تعالى أربعة سبحان الله والحمد لله ولا إله
إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى
أبو موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور
شطر الإيمان والحمد لله يملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين
السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن
حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها و
قال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وقال أبو ذر قلت لرسول الله أي الكلام أحب إلى الله قال ما
اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال
أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من الكلام سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قال العبد سبحان الله
كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة وإذا قال الله
أكبر فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة
وعن أبي ذر أنه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب
أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون

بفضول اموالهم فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وبكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وبكل تكبيرة صدقة ولكم بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع احدكم اللقمة في في اهله فهو له صدقة قالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايت لو وضعها في حرام اكان عليه فيها وزر فكذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر وقال ابو ذر قلت يا رسول الله سبق اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلاثا وثلثين وتحمد ثلاثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رايته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة قيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم الا من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة الا بالله

وسبقت من بعدك

يعني بالشهادة في القيامة مستنطقات

يقول الله تعالى اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فيتفرق عنه الشياطين ويقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي **فان قلت** فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها **فاعلم** ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما دل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهي غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور فلا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهدة في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قول بعضهم

كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف هي النفس ثم عودتها تعود اي ما كلفتها او لا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله تعالى فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله تعالى ولا يبقى بعد الموت عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان تفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله تعالى معه بعد الموت فتقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون

الاعدام نيست [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

وقد قتلوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة التي اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله تعالى وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم الاية ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحيوته وقد هون على قلبه حيوته في حب الله تعالى وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى من ذلك انه استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال صلى الله عليه وسلم ان الله احيى اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ما شئت اعطكه فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى ولهذا اعظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريها فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك

الله [illegible]
[illegible]

لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه وأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله وإعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قول لا إله إلا الله فإنه لا مقصد له سوى الله تعالى وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله إذ لا مقصد له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله تعالى ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والإخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصا ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه هذا آخر ما أردنا من الذكر إذ لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين وقال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدعاء هو العبادة

ثم قرأ ادعوني أستجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وإما خير يعجل له وإما خير يدخر له وقال أبو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج

آداب الدعاء

وهي عشرة الأول أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من أوقات الليل قال الله تعالى وبالأسحار هم يستغفرون ولقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وقيل إن يعقوب صلوات الله عليه إنما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل إنه قام في وقت السحر وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله إليه إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء الثاني أن يغتنم الأحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد وقال أيضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضا إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون

العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم الثالث أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه روى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم مر بإنسان يدعو بأصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد أي اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغي أن يمسح بها وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه وهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره إلى السماء قال صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى الأشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها أي بدعائك وقد أثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال إذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية

الخامس أن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للأسجاع والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء فلذلك في الخبر إن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلمون من العلماء وقد قال صلى الله عليه وسلم إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال إن العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فإن الله لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله تعالى السادس التضرع والخشوع والرهبة قال الله تعالى إنهم كانوا يسارعون في الخيرات

ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان
يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم
لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم
المسألة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله
لا يتعاظمه شيء وقال صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة
واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة
لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب شر
الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان صلى الله عليه
وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة
لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب
لي فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم انني
اسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة
سألت الله تعالى ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال صلى الله عليه وسلم
اذا سأل احدكم ربه مسألة فعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال
التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن
الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه
وقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد
ان يسأل الله تعالى حاجة فليبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
يسأله حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلوتين وهو اكرم
من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سألتم الله حاجة فابدؤوا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل
حاجتين فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي **العاشر**

وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم
والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة
فيروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد
موسى عليه السلام فخرج موسى عليه السلام ببني اسرائيل يستسقي بهم
فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى عليه السلام يا رب ومن هو
حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون
نماما فقال موسى عليه السلام لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا
فارسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن
ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء
او لنؤذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه وهو في السماء فقال اقتل
اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله السماء وقال سفيان
الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل
واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويبكون ويتضرعون فاوحى الله تعالى
الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان
السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم
منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم و
قال مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا
فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة
وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام
الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق
الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها
رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى
بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم
بدعوة غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد

فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة
فقالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين
من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم
اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا
وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطئون المطر
وانا استبطئ الحجارة ويروى ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي
فلما اضجروا قال لهم عيسى من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا
كلهم ولم يبق في المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب
فقال والله ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي
امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت اصبعي
في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى فادع حتى
اؤمن على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا
وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام
فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم
اللهم انك انزلت في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا
انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك امرت في توراتك ان نعتق
ارقاءنا اللهم انا ارقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك امرت في توراتك
ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك
فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي
فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطاء هذا
يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا
نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية فقلت بل
بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان
الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي ومولاي لا تهلك
بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب

من آلائك الا سقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من
هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت
السماء وابرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

افلح الزاهدون والعابدونا ... اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة فيه ... فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى ... قيل في الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس
يستسقون فخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد
اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول
الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست
عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليما ذا اناة يا
من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم
يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر
من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا
فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة
فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
استسقى بالعباس رضي الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس
اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد
توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه ايدينا
اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة
ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت
الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا
فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه
حتى ارخت السماء مثل الحبال **فضيلة الصلوة** على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان الله

وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال
انه جاءني جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال يقول الله تعالى اما ترضى يا محمد
ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد
من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت
عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال ان اولى
اولى الناس بي اكثرهم علي صلوة وقال بحسب المؤمن من البخل
ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا علي
الصلوة يوم الجمعة وقال من صلى علي من امتي كتب له عشر حسنات
ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان والاقامة
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك
ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت
له شفاعتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتابه
لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى
الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام
وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك
حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب سمع بعد موت رسول الله
يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب
الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك
حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك
لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان جعل طاعتك طاعته فقال ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان

اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك
لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم وقال واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد اطاعوك
وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله
حجرا ينفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين
نبع الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن
كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما
ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة
ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت
وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء
الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي
مشوية فقالت لا تأكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا ولقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي
يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في
كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا
قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا
ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما
واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست
الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض

ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وقال بعضهم كنت اكتب
الحديث واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فيه ولا اسلم فرايت النبي صلى الله
وسلامه عليه في المنام فقال اما تتم الصلوة علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك
الا صليت عليه وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك
حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون
وغفل عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب

فضيلة الاستغفار

قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم وقال علقمة بن الاسود
قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب عبد
ذنبا فقراهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا
فاحشة الآية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وقال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال
تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه
وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انك انت التواب الرحيم
وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم
فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه
وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا
مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة وقال صلى
الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي
لا اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفر الله ذنوبه وان كان مثل
زبد البحر وعدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث آخر قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان
فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله

لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فاين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله
فان التوبة من الذنوب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم
يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في
امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي
وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر
وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا اذا سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به ما شاء ان ينفعني
واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني
ابو بكر وصدق ابو بكر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين
ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
الآية وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه وان تاب ونزع و
استغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى يعلو قلبه فذلك الران الذي
ذكره الله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول
يا رب انى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة الصديقة
انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا
واذا اساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا
فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان
له ربا ياخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وقال صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة

وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء
فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك و
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله
قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني
اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له
ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي
وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت
ذنوبه ولو كانت كمدب النمل وسيد الاستغفار ان افضل الاستغفار
اللهم انت ربي وانا عبدك انا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك بنعمتك علي وابوء على نفسي
بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت
منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت **الآثار**
قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون
بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين
اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة
عنهم وقال قتادة يدلكم على دائكم ودوائكم اما دائكم فالذنوب واما
دوائكم فالاستغفار وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقال
ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول
العبد استغفر الله تفسيره اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب
ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن
احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن
ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل استغفار بلا اقلاع توبة
الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير

وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا
على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابيا وهو متعلق باستار الكعبة يقول
اللهم ان استغفاري مع اصراري للوم وان تركي الاستغفار مع
علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض
اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا ادخل
عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق
لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك اذا دعوت
ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب
تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي
ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه
غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك
واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار
وسواد الليل في ملاء وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار
الخضر **الباب الثالث في ادعية مأثورة مجربة**
ابلغ اسبابها واربابها مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا
ومساء وبعقب كل صلوة منها دعاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي
من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة
من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي
وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء
اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف
كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء
ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة

استغفار آدم عليه

الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي ولو ضعف رأيي وقصر عملي
وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور
كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة
الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي
ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت
معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه يا رب
العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين
حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي
بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك
الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اللهم يا ذا الحبل الشديد والامر
الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت
تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي
لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان
ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى
كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي
ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي
ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا
واجعل لي نورا **دعاء عائشة رضي الله عنها** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسألك من
الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر
كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسألك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل

واسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم
واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه
وسلم واسألك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا
برحمتك يا ارحم الراحمين **دعاء فاطمة رضي الله عنها** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيتك به ان
تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة
عين واصلح لي شأني كله **دعاء الصديق رضي الله عنه** علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسألك
بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك
وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم
وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته
او فقير اغنيته او ضال هديته واسألك باسمك الذي انزلته
على موسى عليه السلام واسألك باسمك الذي تثبت به ارزاق العباد
واسألك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسألك
باسمك الذي وضعته على السماء فاستقلت واسألك باسمك الذي
وضعته على الجبال فرست واسألك باسمك الذي به استقل
عرشك واسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل
في كتابك من لدنك من النور المبين واسألك باسمك الذي وضعته
على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور
وجهك ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري
وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم
الراحمين **دعاء بريدة الاسلمي** روي انه قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا
علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال
قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي

واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل
فاعزني واني فقير فاغنني **دعا قبيصة بن المخارق** اذ قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني
وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال صلى الله عليه وسلم اما للدنيا
فاذا صليت الغداة فقل ثلث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت
من غم وجذام وبرص وفالج واما للاخرة فقل اللهم اهدني
من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك و
انزل علي من بركاتك ثم قال صلى الله عليه وسلم اما انه اذا وافى
بهن يوم القيمة ولم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل
من ايها شاء **دعا ابي الدردا** قيل لابي الدردا قد احترقت دارك
وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان ليفعل ذلك فقيل له
ذلك ثلثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدردا
ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت فقيل له ما
ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يقول هولاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن
وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش
العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد
احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل
دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعاء
الخليل عليه السلام** كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق
جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك
وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه
من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن

دعا بهذا الدعا اذا اصبح فقد ادى شكر يومه **دعا عيسى عليه الصلوة
والسلام** كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا
املك نفع ما ارجوا واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي
فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسو بي صديقي و
لا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي
من لا يرحمني **دعا الخضر عليه السلام** يقال ان الخضر
والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله
بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة فمن الله
الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلثا
اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق **دعا معروف
الكرخي** قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمهما الله الا
اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للاخرة من دعا الله بهن
وجد الله عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن اردها عليك كما
ردها علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي
حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي
حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت
حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر حسبي الله الكريم
عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير
عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم وقد روي عن ابي الدردا انه قال من قال في كل يوم سبع
مرات فان توكوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر آخرته صادقا
كان بها او كاذبا **دعا عتبة الغلام** وقد رأى في المنام فقال
دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين وراحم المذنبين
ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين

كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين **دعاء
آدم صلوات الله عليه** قالت عائشة رضي الله عنها لما اراد الله
ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببنية ربوة
حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل
معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه
لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته لي فاوحى الله اليه
اني قد غفرت لك ولم يات احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي
دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر
من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي
راغمة وان كان لا يريدها **دعاء علي رضي الله عنه** رواه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول
اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني
انا الله لا اله الا انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد
ولم اولد اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور اني انا الله
لا اله الا انا مبدي كل شيء واليه يعود اني انا الله العزيز الحكيم
الرحمن الرحيم ملك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار
الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم اتخذ صاحبة ولا ولدا اني انا الله
الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المومن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال
المقتدر القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد اعلم السر واخفى
القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني انا الله
لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك
انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين

المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين في
دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين **دعاء ابي
المعتمر** وهو سليمان التيمي وتسبيحاته روي ان يونس بن عبيد
راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما افضل ما
رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله تعالى
بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة
ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته
وملء ارضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه
ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي
وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه
فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات
ونسم ونفس من ابد الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من
ذلك لا ينقطع اوله ولا ينفد اخراه **دعاء ابراهيم بن ادهم** روي
ابراهيم بن بشار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم جمعة اذا اصبح
واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد
يومنا هذا يوم عيد اكتبا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع
الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مومنا وبلقائه مصدقا
وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى
الله في الالهية جاحدا والى الله تعالى فقيرا وعلى الله تعالى
متوكلا والى الله تعالى منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه
ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله الذي
لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض حق
والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة

آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيى وعليه أموت
وعليه أبعث إن شاء الله تعالى اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت
خلقتني وأنا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم
من شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه
لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي
لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا
أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك أستغفرك
وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما
أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيرا
خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين رب العالمين
اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا
نظمأ بعده أبدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين عهدا ولا مرتابين
ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا
ووفقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت
في الحيوة والآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي
يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات
بأكنافها والأرضون بأقطارها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها
وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان
بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من
سبحت له الشجر بأصولها وأوراقها وسبحان من سبحت له السموات
السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك
يا حي يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت
حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير الباب الرابع
في الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
محذوفة الإسناد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن

خزايا جمع خزيان

خزيمة وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد إذا أصبح أن
يكون أحد أوراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الأوراد فإن كنت
من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك أعقاب صلواتك
سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا
وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقل
اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة
رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من
شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم إني أسألك
العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر
عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين
يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك
أن أغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك
ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين
وقل اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وعلى
عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء
بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت
وقل اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري
لا إله إلا أنت ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك الرضى بعد القضاء
وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى
لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك أن أظلم
أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكتسب خطيئة أو ذنبا
لا تغفره اللهم إني أسألك الثبات في الأمور والعزيمة على
الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما

شَرَكه

وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم
وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت
علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت
فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل غيب شهيد اللهم إني أسألك
إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد
في أعلى جنة الخلد اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك
المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل
عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت
بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك
على الخلق أحيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا
لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضى والغضب
والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك
وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان و
اجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول بيننا وبين
معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به إلى جنتك ومن اليقين ما تهون به
علينا مصائب الدنيا اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا
وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعل
ذكرك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم اجعل
أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل
أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل
شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم
كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر
كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وأزواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه
وذريته كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد اللهم صل

خ ظ
رسول الأميين

على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي الرسول الأمين
وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من أوليائك
المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك
عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا نسألك
جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر و
فواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي إنك أنت التواب الرحيم
وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار وبعلمك بي ارفق بي إنك
أنت الرحمن الرحيم وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت
الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر
لي ذنبي إنك أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم ألهمني رشدي
وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني
واستعملني به صالحا تقبله مني أسألك العفو والعافية وحسن
اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب
ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك
أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما وألحقني بالصالحين
أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا وإليك
أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا
ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا
من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا إننا سمعنا
مناديا ينادي للإيمان إلى قوله إنك لا تخلف الميعاد ربنا
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة رب اغفر لي
ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات

والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا
لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا
الله ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة** عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن
واعوذ بك من ان اُرد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ
بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع ومن طمع
في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب
لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن
الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان
ارد الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات
اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك
عزائم مغفرتك ومنجيات امرك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر
والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي و
اعوذ بك من الغم والغرق والهدم والهرم واعوذ بك ان اموت في سبيلك
مدبرا واعوذ بك ان اموت في طلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر
ما علمت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال و
الادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء
وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين
والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني
اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم
اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان الجار البادي يتحول اللهم
اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ
بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء
واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام

اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك
ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار
وعذاب القبر وفتنة القبر ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر و
من شر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم اني
اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة
لا تستجاب واعوذ بك من شر العمر وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء **الباب الخامس**
في الادعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث اذا اصبحت
وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا
ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب
الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا
وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل
خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا
وقل ايضا اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا
اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء
سخطك وابتغاء مرضاتك واسالك ان تنقذني من النار وان تغفر لي
ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجة
فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله
الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت
الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وآله وسلم اللهم اغفر لي
جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول
فاذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك
واذا رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل
اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره

(في الهامش: الخلاء زمين خالی كه درو هيچ نبود و آب خانه ... مهذب — ممشاي خ — العلي العظيم خ)

كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل
اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت
انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به
قدمي لله رب العالمين وان شئت فقل سبحان ربي العظيم
ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت
راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات
وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد
كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا
الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت
ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره فتبارك
الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك آمن
فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت بعد ان تقول سبحان
ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر
الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر
لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسالك خير هذه
السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها
اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة
فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم

(في الهامش: هذا بعد قولك ...)

انت كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير ما صنع
له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة
تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات
الا انت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واذا رايت الهلال
فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي
وربك الله وتقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسالك
خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله
ثلاثا فاذا هبت الريح فقل اللهم اني اسالك خير هذه الريح
وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر
ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله
وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من
المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في
الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده ويقول عند
التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول
عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول عند النظر
الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
فاذا سمعت صوت الرعد والصواعق فقل اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملائكة من خيفته قال كعب فاذا امطرت
السماء فقل اللهم سيبا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب
رحمة ولا تجعله سيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم اغفر
لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم

(في الهامش: واغفر لنا وله خ — الغابرين باقی ماندگان ... — السيب عطا السيب والسيوب ... مهذب)

فإذا خفت قوما فقل اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
وإذا غزوت فقل اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل وإذا
طنت أذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني بخير فإذا رأيت
استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات
وإن أبطأت فقل الحمد لله على كل حال فإذا سمعت أذان المغرب
فقل اللهم هذا عند استقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور
صلواتك أن تغفر لي فإذا أصابك هم فقل اللهم إني عبدك ابن عبدك
ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل
اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو أعطيته أحدا من خلقك أو
استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي و
نور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم
ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا
فقيل يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها
وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارق برقية رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع
سبابته على الأرض ثم رفعها وقال بسم الله تربة أرضنا بريقة
بعضنا يشفى به سقيمنا بإذن ربنا وإذا وجدت وجعا في جسدك
فضع يدك على الموضع الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل
سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وإذا أصابه
كرب فليقل لا إله إلا الله العلي الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم
لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم فإذا أردت النوم
فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله أربعا وثلاثين
وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل اللهم إني أعوذ برضاك من
سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ
ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك اللهم باسمك أحيا

أسالكم

السبابة انكشت لا إله إلا الله ... مهذب

بعزة

وبلعابه ... ويقرنه

وأموت اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء فالق الحب والنوى
ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن
شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت
الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن
فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر اللهم إنك خلقت
نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها
وإن أحييتها فاحفظها اللهم إني أسألك العافية باسمك ربي وضعت
جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم أسلمت
نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة
إليك لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك
الذي أرسلت وليكن هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك وليقل قبل ذلك اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني
بأحب الأعمال إليك التي تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك
فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي فإذا استيقظت
من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه
النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان والمنة
والعزة والقدرة لله أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص و
دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان
من المشركين اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيى وبك نموت وإليك
المصير اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك
أن نجترح سوءا أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم فالق
الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير
هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله
لا قوة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله

ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير
وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ
بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر
كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط
مستقيم وإذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله
وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين وإذا اشتريت خادما
أو غلاما أو دابة أو جارية فخذ بناصيته وقل اللهم إني أسألك
خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه وإذا
هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير
وإذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال
صلى الله عليه وسلم إنما جزاء السلف الحمد والأداء فهذه أدعية لا
يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة
والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة فإن قلت
فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم أن من القضاء
رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة
كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض
فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان
وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى
خذوا حذركم وأن لا تسقي الأرض بعد بث البذر فيقال إن سبق القضاء بالنبات
نبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر
وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو
القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه
سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء
من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فإنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو

منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة
والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله تعالى إلا
عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء
عريض فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله
بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات
ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل
لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله تعالى ويمنع من نسيانه
فأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى
فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير
وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فسيأتي
في موضعها إن شاء الله تعالى تم كتاب الأذكار والدعوات بحمد الله وتوفيقه

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل
وهو الكتاب العاشر من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب
استكبارا ولا نفورا ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا و
نذيرا وعلى آله وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله
غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين
هاديا وسراجا منيرا أما بعد فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولا
لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها محترزين
من مصايدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها
فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو
الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه و
أيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤوس

أهوائه وشهواته وأعرض عن قطاع طريقه ورجح الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وحرمانه البعد من الله تعالى مع الأنكال والأغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم فالعاقل من نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله تعالى زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل الجسيم شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على إحياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب الأول** في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار **الباب الثاني** في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الأول في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد

من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل إذا رد إلى نمط واحد أظهر الملال والاستثقال وإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ونوع إلى نوع بحسب كل وقت ليغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها على الذكر والفكر فلذلك ينبغي أن تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى التدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلاً والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها للطبع إذ يكون الوقت متساوياً فأنى يتقاومان والطبع لأحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يساعد على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب وحضوره إلا في بعض الأوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق الأوقات في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر إلى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه إن لك في النهار سبحاً طويلاً واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم

وقال تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقال عز من قائل كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال تعالى وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون أن سبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون هذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وقال والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات وتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدل عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في

أحدهما ما فات في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان أعداد الأوراد وترتيبها

اعلم أن أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان وما بين العصر إلى الغروب وردان والليل ينقسم إلى أوراد أربعة وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس ووردان في النصف الأخير من الليل إلى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به

فالورد الأول ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله به إذ قال والصبح إذا تنفس وتمدحه به إذ قال فالق الإصباح وقال قل أعوذ برب الفلق وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا

ولنذكر ترتيبه فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فإذا انتبه ينبغي أن يبتدئ بذكر الله فيقول الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر العورة امتثالاً لأمر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة ويدخل أولاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة

في عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح أعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرأ بعد الركعتين اداهما في البيت او المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي إلى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى بل يمشي وعليه السكينة كما ورد الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الأول إن وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صلوة الصبح من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فإن جلس حتى يركع كتب له بكل جلسة ألف ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فألفيت أبا هريرة قد سبقني فقال يا ابن أخي لأي

الركعتين صح

حسنة صح

شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ثم يشتغل بالاستغفار والتسبيح إلى أن يقام الصلوة فيقول أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه فقد قال صلى الله عليه وسلم لأن أقعد في مسجد مجلس أذكر الله فيه من صلوة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب وروي أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول إنه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة أكفك ما بينهما فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس بل ينبغي أن يكون وظيفته إلى طلوع الشمس أربعة أنواع أدعية وأذكار يكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام

وأتوب إليه صح

تحده كحتى الى آخر دعائه

تباركت يا ذا الجلال والإكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدئ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراها أوفق لحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بإيرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحد منها ثلاثا أو سبعا وأكثرها مائة أو سبعون وأوسطها عشرة فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وإن قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات ولا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشر الأولى قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة السادسة

قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملال فأما القراءة فيستحب له جملة من الآيات ورد الخبر بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر إلى إبراهيم التيمي ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الأبدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية فقلت يا أخي من أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها إبراهيم التيمي قلت أفلم تسأل إبراهيم من أعطاه قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا

على حدته خ

الخضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله
وعندي هدية أريد أن أهديها لك فقلت ما هي فقال هي أن تقرأ قبل
طلوع الشمس وانبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد سبع مرات
وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها
الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
سبعا وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا
وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدنيا والدين والآخرة ما أنت
له أهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له أهل إنك أنت غفور رحيم جواد كريم
رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع غدوة وعشية فقلت أريد أن
تخبرني من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم
فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال إذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله
عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في
منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف
أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا
فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها
قال فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من
الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق إلى المغرب فسلم علي وأخذ بيدي
فقلت يا رسول الله إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث فقال صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال
وهو من جنود الله تعالى في الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله
ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئا مما أعطيته فقال
والذي بعثني بالحق إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة
أنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته
ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئا من السيئات إلى سنة والذي

بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا
من خلقه الله شقيا وكان إبراهيم التيمي مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب
بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة الغداة فإن أضاف إليه شيئا مما انتهى إليه
ورده من القرآن أو اقتصر عليه فحسن فالقرآن جامع لفضل الذكر
والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة
وأما الأفكار فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه
وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع إلى
فنين أحدهما أن يتفكر في ما ينفعه في المعاملة بأن يحاسب نفسه
فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائف يومه الذي بين يديه ويدبر
في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره
وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات
الصالحة في أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني
فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله وتواتر
آلائه الظاهرة والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها
أو في عقوباته ونقماته ليزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه
ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر
فيها على بعض الخلق دون بعض وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكر
ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله وزيادة
أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف
والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه
ولا تنكشف عظمة الله وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته
وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم
ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من
المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم
ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار

نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه
وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر
على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق مطلقا
من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته كمحبة المشاهد
وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله تعالى
بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالإيمان
التقليدي ليس معهم من محاسن الصفات لله إلا أمور جملية
اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا
ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى
من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك
غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من
الحجاب ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد
حجبها التي استحقت أن تسمى نورا وكاد أن يظن الواصل إليها أنه
قد تم وصوله إلى الأصل سبعون قال صلى الله عليه وسلم إن لله
سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدركه
بصره وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب
تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه
وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم عليه السلام
في ترقيه وقال لما جن عليه الليل أي أظلم عليه الأمر رأى كوكبا
أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به
هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية
لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام
لا يضلل الخليل والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس
بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى الله نور السموات والأرض
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فإنها

الخلق ح

خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع
للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق
الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضا مما يغزر فائدته ويعظم
نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر
ينبغي أن يكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد
الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه
الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة
التي يضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد
وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح
إلى الطلوع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يشتغلون
في هذا الوقت بالأذكار فهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم
يندفع إلا بالصلاة ولو صلى لذلك فلا بأس به الورد الثاني ما بين
طلوع الشمس إلى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع
الشمس والزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار
اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان
إحداهما صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلاة أن الأولى أن
يصلي ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف
رمح ويصلي أربعا أو ستا أو ثمانيا إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام
بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي
والإشراق فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها
عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الأرض فإنها تمنع إشراقها
التام ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله به تعالى
والضحى والليل إذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه
وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته ألا إن صلاة الأوابين إذا
رمضت الفصال فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة

أي [illegible] أخفافها من حر الرمل

فهذا الوقت ايضا بعد صلوة الصبح وان كان اهل الفضل للجمال بالصلوة
من طلوع الشمس وقت الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف
رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى يطلق
على الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في ابتداء وقت الاذن في
الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس
تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها
ان يرتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب **الوظيفة
الثانية** في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها
العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر
وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة مسلم
وغيرها فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها
من الادعية والذكر والقراءة والفكر اوالصلوات ان شاء تطوع بها
ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير
الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده **ولها**
ما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب
ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار
والقراءة والدعاء والفكر **الورد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال
والضحوة نعني بها المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلث ساعات
لعنهن بصلوة فاذا انقضى ثلث ساعات بعد الطلوع فقدمها وقبل مضيها
صلوة الصبح واذا مضت ثلثة اخرى فالظهر فاذا مضت ثلثة اخرى
فالعصر واذا مضت ثلثة اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال
والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا ان الضحى لم يفرض
لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم **والوظيفة** في
هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران **احدهما** الاشتغال بالكسب وتدبير
المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة

وان كان صاحب صناعة فلينصح وليشفق ولا ينسى ذكر الله في جميع
اشغاله وليقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على ان
يكتسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه
وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتنعم به
ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت وقد قيل
لا يوجد المؤمن الا في ثلث مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة
لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس
يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم
الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة
الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه
الامر الثاني القيلولة وهي سنة يستعان بها على قيام الليل
كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار وان كان لا يقوم بالليل
لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم
احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف
المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على
الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد افضل
احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيه
فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا
ان يناموا طلبا للسلامة فاذا نوم على قصد طلب السلامة ونية
قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان ينتبه قبل الزوال بقدر الاستعداد
للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان ذلك
من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة
والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى
واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد
عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته

ويضاهي ذلك فضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا
وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا **واحد** معنيي
قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف
احدهما الآخر في الفضل **والثاني** انه يخلفه فيتدارك فيه
ما فات في احدهما **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ
من صلوة الظهر وراتبته وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها
فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس و
ابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم
ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي
اراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات
لا يفصل بينهن بتسليمة وهذه الصلوة وحدها من بين سائر صلوات النهار
وهكذا قاله بعض العلماء ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى
مثنى كساير النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها يفتح ابواب السماء
كما اوردنا الخبر فيه في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة
او سورة من المئين او اربعا من المثاني فهذه ساعة يستجاب فيها
الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم
يصلي الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة ولا
ينبغي ان يدعها وليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا اذ كره ابن مسعود
ان يتبع الفريضة مثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة
اية الكرسي واخر البقرة والايات التي اوردناها في الورد الاول
ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلوة والتحميد
والتسبيح مع شرف الوقت **الورد الخامس** ما بعد ذلك الى العصر
ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او الصلوة او فنون الخير
ويكون في انتظار الصلوة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلوة
بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر

المئين التي آياتها مائة ٢

والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل من التلاوة فان كانت
سنة اسلم لدينه واجمع لهمه فالسنة افضل في حقه واحياء هذا
الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل
وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار
قال بعض العلماء ثلث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير
جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار
اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل
والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان
نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم ان عاش ستين سنة
ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد
نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء للروح كما ان الطعام غذاء
للبدن وكما ان العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال
هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر
تدريجا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو من اطول الاوراد
وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
واذا سجد لله الجمادات فكيف ان يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات
الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو
الذي اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو
المراد بالاصال في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا
وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة الا اربع ركعات
بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة
المذكورة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان و
تصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلوة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم
اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد
الاقسام الثلثة

المرونة والمرانة عادت لدن وتعدى بعلى ٢ [illegible] ٢

الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض
بحيث تغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض
وترى صفرة في ضوءها دخل هذا الورد وهو مثل الورد
الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
كما ان ذاك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وهو الطرف الثاني المراد بقوله واطراف النهار قال
الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض
السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب
في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير ما ذكرناه
في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي
القيوم واسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ومن قوله تعالى
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار والاستغفار
على الاسماء التي في القرآن احب كقوله استغفر الله انه كان
غفارا استغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير
الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرأ
قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين
ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم
هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن
ويشتغل بصلوة المغرب وبالغروب فقد انتهى اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه
مرحلة فهل ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا
منه فيكون ملعونا فقد قال صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا
ازداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره
مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده
اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما
سبق

كانت بشارة (margin)

من تفريط فان الحسنات يذهبن السيئات فليشكر الله على
صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول الليل ليشتغل بتدارك تقصيره
وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون لها
بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا
اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها بيان اوراد
الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب
واشتغل باحياء ما بين العشائين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق
اعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم الله به فقال فلا اقسم
بالشفق والصلوة فيه ناشئة الليل لانه اول نشوء ساعاته وهو آني
من آناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلوة
الاوابين وهو المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي ذلك
عن الحسن واسنده ابن ابي الزياد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن هذه الآية فقال عليه الصلوة بين العشائين ثم قال
عليكم بالصلوة بين العشائين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب
آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام بين
العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشائين في
الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين
اولا يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما
عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعة
يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد
قريبا من المنزل فلا بأس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف
في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمة فهو الافضل اذا
كان آمنا من التصنع والرياء الورد الثاني يدخل بدخول
وقت العشاء الى حد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام

وقت مي (margin)

وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته
وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب
هذا الورد بمراعاة ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء
عشر ركعات اربع قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستة بعد
الفرض ركعتان ثم اربع ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة
كآخر البقرة وآية الكرسي واول الحديد وغيرها الثاني
ان يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روي ان
النبي عليه صلى بها من الليل والاكياس يأخذون اوقاتهم من
اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقدم فانه ربما لا
يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له
فآخر الليل افضل ثم ليقرأ في هذه الصلوة قدر ثلثمائة آية
من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها
مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك
والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور
او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلاث احاديث ما كان يقرأه
رسول الله عليه في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك
وفي رواية الزمر وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرأ المسبحات
في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان العلماء
يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى اذ في الخبر انه كان يحب
سبح اسم ربك الاعلى وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث
سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص
فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات
الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام
قال ابو هريرة اوصاني رسول الله صلعم ان لا انام الا على
وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتأخير افضل قال صلعم

الغسوق ... (margin)
والم تنزيل (margin)

صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقالت
عايشة رضي الله عنها اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل
واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال امير المؤمنين
علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت
اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى
وان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى
ثم اوترت من آخر الليل وان شئت اخرت الوتر ليكون آخر
صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا بأس به
واما نقض الوتر فقد صح فيه نهي ولا ينبغي ان ينقض
وروي مطلقا انه صلى الله عليه وسلم قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد
في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد
الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا
زلزلت والهيكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها
الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله فقيل ان
استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر
صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استيناف الوتر
فاستحسن هذا ابو طالب بن المكي وقال فيه ثلاثة اعمال قصر الامل
وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر
انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ لبطل وتره
الاول لكونه مشفعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا
ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتاره قبلهما واعادته
الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب
وترا ان استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم
من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت

السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت
العباد بالموت وروي أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كان
أكثر صلوته جالساً إلا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف أجر القائم
وللنائم نصف أجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائماً الورد
الثالث النوم ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد فإنه إذا روعيت
آدابه احتسب عبادة فقد نقل أنه إذا نام العبد على طهارة
ذاكراً الله يكتب مصلياً حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن
تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر
أنه إذا نام على الطهارة رفع روحه إلى العرش هذا في العوام
فكيف في العلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار
في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه
تسبيح وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع في قيام الليل قال أقوم
الليل أجمع لا أنام منه شيئاً وأتفوق القرآن فيه تفوقاً قال معاذ
لكني أنام ثم أقوم وأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي فذكرا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ أفقه منك وآداب
النوم عشرة الأول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم
إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة
وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث
أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً وطهارة
الباطن هو المؤثر في انكشاف حجب الغيب الثاني أن يعد عند رأسه
سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما ينتبه
يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها
وإن لم يتيسر لهم الطهارة فكانوا يستحبون مسح الأعضاء بالماء
فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء

والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل
وقال صلى الله عليه وسلم من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم
يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان
نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث أن لا يبيت من له
وصية إلا ووصيته مكتوبة عنده فإنه لا يأمن القبض
في النوم يقال إن من مات من غير وصية لم يؤذن له في
الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة فيزوره الأموات ويتحدثون
وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية
وذلك مستحب خوفاً من موت الفجأة وموت الفجاءة تخفيف
إلا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع
أن ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه
بظلم أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ قال صلى الله عليه وسلم
من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له
ما اجترم الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك
ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك
تكلفاً للنوم وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب
حاجزاً ويقولون منها خلقنا وإليها نرد فكانوا يرون ذلك أرق
لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس
أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به
الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم
فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون
وإن غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم
حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعداً وفي الخبر لا
تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلانة تصلي
بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم

من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا
من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال صلى الله
عليه وسلم خير هذا الدين أيسره وقيل له إن فلاناً يصلي ولا ينام
ويصوم ولا يفطر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه
سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا
هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إليك عبادة
الله السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين
أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن
يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو
لمن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على
الشق الأيمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت
جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في
كتاب الدعوات ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي
وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو إلى
قوله يعقلون يقال إن من قرأه عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه
ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية إن ربكم الله الذي خلق
السموات والأرض وآخر بني إسرائيل قل ادعوا الله الآية فإنه
يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرأ المعوذتين و
ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي
من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ عشراً من أول الكهف و
عشراً من آخره وهذه الآي للاستيقاظ وكان علي رضي الله عنه
يقول ما أرى أن رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من
آخر سورة البقرة وليقل خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة
مرة التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ

نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها فسماها توفياً وكما أن المستيقظ ربما كشف له مشاهدات
لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط
بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ
بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت
فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما
أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت
فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة
وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول
حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في
ليلته اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا
ورب كل شيء ومليكه الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في الدعوات فحق
على العبد أن يفتش عن قلبه عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب
عليه حب الله وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على ما هو
الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب
العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته
مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله
الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد
أن يكون آخر ما على قلبه عند النوم ذكر الله وأول ما يرد على قلبه عند
التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين
إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فإنها علامة تكشف عن
باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله
تعالى فإذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا
وإليه النشور إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ الورد
الرابع يدخل بمضي النصف الأول من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه

وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود
والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد
الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى وقال والليل
اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوؤه في هذا الوقت فلا تبقى عين
الا نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا
سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي اني — اسمع ح / او افضل
احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود
لا تقم اول الليل ولا آخره فانه من قام اوله نام آخره ومن قام آخره
لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي
حوائجك وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل
الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار
الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغير ذلك
من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضأ
وضوءا كما سبق بسننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا
للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا
ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء
والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض
ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق
ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله
عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم
وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقواها زكها انت خير من
زكاها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا انت

واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسألة البائس
المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن
بي رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها
كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته قال
اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء
الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم
يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر و
يستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمه مائة تسبيحة ليستريح
ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم
صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى
ثلث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما
اسر وقال صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا
خفت الصبح فاوتر بركعة وقال صلوة المغرب اوترت صلوة
النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات
من ورده من القرآن او من السور المخصوصة ما خف عليه وهو
في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل **الورد
الخامس** السدس الاخير من آخر الليل وهو وقت السحر قال تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو
مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة
النهار وقد امر بهذا الورد سلمان لاخيه ابا الدرداء ليلة زاره في

حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال
له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فلما كان عند الصبح قال
له سلمان قم الآن فقاما فصليا جميعا فقال ان لنفسك عليك حقا وان
لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وقال وذلك ان امرأة
ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه
يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة
في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل
ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله
سبحانه فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى
آخرها ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته
واولوا العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند
الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها
عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها
حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد
كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم
وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر
من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة
فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا
يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او ببصلة او كسرة
خبز لقوله صلعم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله
صلعم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضه الى سائل عنبة
واحدة فنظر بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر
كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله
صلعم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي
الخبر

يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل
وفي جسده ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك
عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى
الطريق صدقة واماطتك الاذى عن الطريق صدقة حتى ذكر
التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى يأتي على ذلك كله او — اذ يجمع ن
تجمع لك ذلك **بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال**
اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة
احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف
واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول**
العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا ولو ترك
العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان
تختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلوة
او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في
اليوم اثنتا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا
وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل
ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة من الصلوة في اليوم
والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد
منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي
اليوم او الليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز
ابن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة
سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين — سبعين خ
فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان
فهو مائتان وثمانون ركعة **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر
الاوقات من هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القرآن في الصلوة
قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل

يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب و
تطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه
فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل
الى غيره ولذلك يرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات
المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع
لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في
ذلك تختلف ولكن اذا فهم معنى الاوراد وسرها فليتبع المعنى
فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكراره
ما دام يجد له وقعا وقد روي عن ابرهيم بن ادهم عن بعض الابدال
انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح
ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتا ولا ارى شخصك فقال انا
ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ
خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال
من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح
قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان
من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان
سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان
فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعا فليلازمه وايما
ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني** العالم
الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه
الاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى مطالعة الكتب
والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان
امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات
ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم في
كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتامل

ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى
طريق الآخرة ورب مسالة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها
عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم
المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة
ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق
الآخرة اذا تعلموها على قصد الاستعانة به على السلوك دون
العلم الذي يزيد الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق و
الاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات
في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح
الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول
وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان
عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى
الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب
بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على
التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف و
والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة و
قيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار
يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه من تفسير او حديث او علم
نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح
فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده
الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى
العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتبة وورده الرابع
بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد فالمطالعة
والكتبة بعد العصر ربما اضر بالعين وعند الاصفرار يعود
الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح

مع حضور القلب في الجميع **واما** بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة
الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث للمطالعة
وترتيب العلم وهو الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم
وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل
ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب اوراد
العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال
بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد ولكن
يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق و
النسخ ويشتغل بالذكر حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب
اوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من
كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه
يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجلس الذكر
والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح
وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات ففي حديث ابي ذر حضور مجلس العفو
ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل
يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الاحبار
لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي
امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب ان
الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا
سمع العلم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه
ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض
تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة في
قلبي فقال ادنه من مجالس الذكر وراى عمار الزاهد مسكينة الطفاوية
في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة

يقال ايه وهيه بالكسر للاستزادة والاستنطاق وهيه بالفتح للزجر والنهي كقولك ايه حسبك يا رجل ويقال ايه وايها بالتنوين للتنكير ٢ مرقاة

فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه
فقالت ما تسال عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك
قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل من القلب من
عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة
اشرف وانفع من ركعات كثيرة مع اشتغال القلب بحب الدنيا
الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له
ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده
في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن
ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته فيواظب على التسبيحات
والاذكار وقراءة القران فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل
وانما لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون ناطورا فانه لا يعجز
عن اقامة اوراد الصلوة معه ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي
ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما
فضل من حاجته فهو افضل من ساير الاوراد التي ذكرناها
لان العبادة المتعدية فايدتها انفع من اللازمة والصدقة
والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه يقربه الى الله تعالى
ثم يحصل به فايدة الغير وان ينجذب اليه بركة دعوات المسلمين
فيتضاعف به الاجر **الخامس** الوالي مثل الامام او القاضي
او المتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم
على وفق الشرع وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه
ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد
المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم
لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد
عرفت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران **احدهما** العلم
والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف وعمل

الناطور دشتوان الناطر الحفظ بالعين في منير الناطور ٢ مرقاة

في نفسه وعبادة تفضل ساير العبادات بتعدي فايدته وانتشار جدواه فكان احق من غيره **السادس** الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح ولم يهمه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شي الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيها عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهولاء جميع احوالهم يصلح ان يكون سببا لازدياد هم فلا يتميز عندهم عبادة من عبادة وهم الذين فروا الى الله تعالى كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا الى الله ويحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته والى الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا ولا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظايم الاشغال وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله تعالى قال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلث وثلثون وثلثماية طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثماية وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل مومن على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله تعالى فاذن الناس وان اختلفت

> [هامش:] استغراق هورا / فارسيدن / وما كنش؟ / مرباح

طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في درجات القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لابد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الاثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يوثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل وسئلت عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان عمله ديما وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان هو السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به روت ذلك عايشة رضي الله عنها وام سلمة **فان قلت** فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهية **فاعلم** ان المعاني الثلثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق في حقه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به

الباب الثاني

في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياوها

وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل

فضيلة الاحياء ما بين العشائين قال صلى الله عليه وسلم فيما روت عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله تعالى صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة قال الراوي ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قال اربعين سنة وروت ام سلمة عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة ولم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما ماية عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذن يكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكثر وافضل او قال واطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشي فيما بين ذلك من امر الدنيا يقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فاذا دخل في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وثلث آيات من آخر البقرة من قوله

لله ما في السموات الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيئا اعمله في كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ ~~فاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله~~ احد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات ~~في كل ركعة~~ وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك فادع بهذا الدعاء ثانيا ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم عليه السلام حتى يذهب بك النوم فقلت احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذا الدعاء وهذه الصلوة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية راى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فراى انه ادخل الجنة وراى فيها الانبياء وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير

> [هامش:] الصلوة المروية لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام

حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله
يأمر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلوة الأوابين
وقال الأسود ما أتيت ابن مسعود في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي
فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس يواظب عليها و
يقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان الداراني
أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر
بالنهار وأحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر ذلك قال
أفطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل** أما من الآيات فقوله
تعالى إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله
إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وقوله تتجافى جنوبهم وقوله أمن
هو قانت آناء الليل الآية وقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل
يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس **ومن الأخبار** قال
صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام
ثلث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليلا طويلا فارقد فإن
استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت
عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح
خبيث النفس كسلان وفي خبر أنه ذكر عنده رجل نام كل الليل
حتى يصبح فقال ذلك بال الشيطان في أذنه وفي الخبر إن للشيطان
سعوطا ولعوقا وذرورا فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه
ذرب لسانه بالشر وإذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله
عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من
الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وقال المغيرة بن شعبة

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له قد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه
أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فإن الشكر سبب المزيد قال الله
تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة
أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل
وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في
السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة
إلى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة
عن الإثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلوة بالليل
يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلوته وكان نومه صدقة عليه
وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة
فكيف سفر طريق القيمة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم
قال بلى بأبي وأمي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل
ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق
بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي
أنه كان رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ الناس مضاجعهم
وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني
منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا كان ذلك فآذنوني
فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الجنة قال يا رسول الله
إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبريل
فقال أخبر فلانا أن الله تعالى قد أجاره من النار وأدخله الجنة وروي
أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي
بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل
قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعود لصلوته

ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى يطلع الفجر
وقال علي بن أبي الحارث شبع يحيى بن زكريا عليه السلام من خبز شعير
فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أوجدت دارا
خيرا لك من داري أو وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى
لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك
اشتياقا ولو اطلعت إلى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد
بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يفعل وقال
صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت
فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت
ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله
عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلوة
بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال صلى الله عليه وسلم من نام عن
ورده بالليل فقرأه بين صلوة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل
الآثار روي أن عمر كان يمر بالآية في ورده من الليل فيسقط
حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود إذا هدأت
العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال إن
سفيان الثوري شبع ليلة فقال إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله
فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس إذا اضطجع على فراشه
يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي إلى الصباح
ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم أشد من
مكابدة الليل ونفقة هذا المال وقيل له ما بال المتهجدين أحسن
الناس وجوها فقال إنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم
بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف

أن لا ينام بعده على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جن
الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك للين والله إن في الجنة
ألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل
الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت
نهمتي وقال الحسن إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام
الليل وقال الفضيل إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار
فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم
يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب
الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء
إني أضعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لا تعص الله بالنهار
ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما
كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلوة
الصلوة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا
المكتوبة فقالوا لا فرجعت إلى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من
قوم لا يصلون بالليل ردني فردها وقال الربيع بت في منزل
الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا اليسير
قال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة ستة أشهر فما فيها ليلة
وضع جنبه وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم
فقالوا إن هذا يحيي الليل كله فقال إني أوصف بما لا أفعل
فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى أنه ما كان له فراش
بالليل ويقال إن مالك بن دينار قام يردد هذه الآية ليلة
حتى أصبح أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب
رمقت مالك بن دينار يتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض
على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك

على النار ولولا قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار رفاتي الذي حلني
مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال
مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام
جارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن أن تقرأ فقلت
نعم فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها مكتوب شعر
ألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقرآن
ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في
المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء
فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني قلت وما
مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش
ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد أخضر
فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون
فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فإذا طلع الصبح
ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل إن وهب بن منبه
اليماني ما وضع جنبه على الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في
بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى وسادة لأنها تدعو إلى النوم وكان له مسورة
من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى
القيام وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي
لأكرمن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغداة بوضوء
العشاء الآخرة أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم إذا
خامر القلب بطل الوضوء وروي عن الله تعالى أنه قال إن
عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك
بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم أن قيام الليل

عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا
وباطنا فأما الظاهرة فأربعة أمور الأول أن لا يكثر الأكل فيكثر
الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض المشايخ يقف على المائدة
كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا
كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة
عن ثقل الطعام الثاني أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال
التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا
مجلبة للنوم الثالث أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة
للاستعانة على قيام الليل الرابع أن يحتقب الأوزار بالنهار فإن
ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل
للحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد
طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن إذا
دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن ليل هؤلاء ليل سوء
فإنهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر
بذنب أذنبته قيل وما ذلك الذنب قال رأيت رجلا يبكي فقلت
في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو
يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك
قال أشد قلت فما ذلك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم
أقرأ وردي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لأن
الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل
واحد منهما يجر إلى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني
لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام
عقوبة والجنابة البعد وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين
فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فإن العبد ليأكل أكلة
فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأول فالذنوب كلها

تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول
الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير
ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة
بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت
قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل
أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات
وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة
أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة
فكانوا يقولون لا فهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تمنع من
تعاطي الفحشاء والمنكر وأما الميسرات الباطنة فأربعة
الأول سلامة القلب عن الحقد للمسلمين وعن البدع وعن فضول هموم
الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر
في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك
يقال وأنت إذا استيقظت أيضا فنائم الثاني خوف غالب
يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة
ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس إن ذكر
جهنم طير نوم العابدين وكما حكي أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب
كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته إن قيامك بالليل يضر
بعملك بالنهار فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم و
قيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال إذا ذكرت النار
اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام
ولذي النون المصري فيه شعر
منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه ... فرقابهم ذلت لكيما تخضعا
وأنشدوا

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه ... لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه ... بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ... ت وكم نال آمنا ببيات
الثالث أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار
حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق
لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي أن بعض الصالحين
رجع من غزوته وامرأته كانت تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل
المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة
فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أتفكر في حور
الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي
شوقا إليها الرابع وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة
الإيمان فإنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو يناجي به ربه
وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وإن تلك الخطرات
من الله تعالى خطاب معه فإذا أحب الله أحب لا محالة الخلوة
به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام
ولا ينبغي أن يستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل فأما
العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو لملك بسبب إنعامه
وأمواله أنه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه
النوم طول ليله فإن قلت إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه
وإن الله لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان
في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر
ودون الطمع في أمر آخر سواه وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره
بلسانه بمسمع منه وإن كان ذلك أيضا معلوما عنده فإن قلت
إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى

فاعلم انه ان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه لبقيت له
ايضا لذة في عرض احواله ورفع سريرته اليه كيف والموقن
يسمع من الله كلما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ
به وكذا الذي يخلو بالملوك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل
يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله تعالى اصدق
وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات
عليه في الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم
بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب
حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه
ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر انا والليل فرسا رهان مرة
يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل
عليك فقال ساعة انا فيها بين حالين افرح بظلمته اذا جاء واغتم
بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين
سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا
غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت
لدخول الناس علي وقال ابو سليمان الداراني اهل الليل في ليلهم
الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا
وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من
اللذة لكان ذلك اكثر من اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل
من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما
هي من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي
من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في
جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين
فيملاها انوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم

الفوائد العوائد الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله
تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم
ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي
وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال
يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه
ويحنون الى غروب الشمس كما يحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل
واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي
وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك وبين متاوه
وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اولا ابصر
اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت
السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة
اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه ايعلم احد ما اريد ان
اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه
الجبار وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار
من قرب الرب من القلب وهذا له سر وتحقيق سيأتي الاشارة اليه
في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله تعالى اي عبدي انا الله الذي اذا
اقتربت لقلبك بالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول
سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات
في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة فتعرض
لتلك النفحات منه فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم
ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع
الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى خيرا الا
اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والآخرة
الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة

وافاه او اتاه م

في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة
النفحات المذكورة بيان طرق القسمة لاجزاء الليل اعلم ان احياء
الليل من حيث المقدار له سبع مراتب المرتبة الاولى احياء كل
الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله وتلذذوا
بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول
القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك
طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى
ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين
وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب
وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد
المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم
والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وعبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر
السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي
وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال
وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأ مرة اخرى
وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم
المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد
المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول
من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع القيام في جوف الليل
ووسطه فهو الافضل المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي
ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل
محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل
صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة
وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم

احياء الليل

ان ينام

اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا
اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت ايضا ما ألفيته
السحر الاعلى الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح
سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة
من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيها استراحة تعين على
الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير
ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام المرتبة الرابعة ان
يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير
وقيل السدس الاخير منه الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك
انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر فيوكل به من يراقبه
ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم في اول الليل
الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون
له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال
وافضلها وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين
وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فاذا انتبهت ثم عدت
الى النوم فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف
الليل او ثلثه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى
في الموضعين من سورة المزمل قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف
سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من
الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عائشة رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون
السدس فما دونه وروى غير واحد انه قال رايت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان السلف ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا
ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا
فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل
ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة السادسة
وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او تعذرت عليه الطهارة
فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل
برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه
طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام
في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد
العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي
الليل فهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار يترتب هذه
المراتب بحسب طول الوقت واما الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الا
القدر فليس يجري فيهما التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة
ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة باب الليالي
والايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتاكد فيها
استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها
مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح
ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر
رمضان وخمسة في اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة
سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت
وقعة بدر قال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم
وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين
منه وهي ليلة المعراج وفيه صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل
في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في
كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن

قم

قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام
عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم
القيمة ومن قال بعدها وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله
هذه الشهادة وهي لي وديعة يقول الله تعالى يوم القيمة ان لعبدي
عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة ٭ من الكنز
قال النبي صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته يلتمس بابا من العلم لينتفع به
قلبه او يعلمه غيره كتب الله له بكل خطوة عبادة سنة صيامها
وقيامها وحفته الملائكة باجنحتها وصلى عليه [illegible] السماء وحيتان
البحر ودواب البر ونزله الله تعالى بمنزلة سبعين [illegible] وكان
خيرا له ان لو كانت الدنيا كلها له فجعلها في [illegible] ٭ من مفتاح الجنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تريد [illegible]
او ستمائة الف دينار او ستمائة الف كلمة فقال يا رسول الله [illegible] ستمائة
الف كلمة فجمع النبي صلى الله عليه وسلم ستمائة الف كلمة في ست كلمات
قال يا علي اذا رأيت الناس يشتغلون بالفضائل فاشتغل انت باتمام
الفرائض والثاني اذا رأيت الناس يشتغلون بعمل الدنيا فاشتغل انت
بعمل الآخرة والثالث اذا رأيت الناس يشتغلون [illegible] بعيوب الناس
فاشتغل انت بعيوب نفسك والرابع اذا رأيت الناس يشتغلون بتزيين
الدنيا فاشتغل انت بتزيين الآخرة [illegible] والخامس اذا رأيت الناس
يتوسلون بالخلق فاشتغل انت [illegible] والسادس اذا رأيت الناس
يشتغلون بكثرة [illegible]

[illegible] ۲۳۰۳